التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 184 السنة 21 - مارس 2023

عشيّة الثّامن من مارس

قضايا الحركة النّسائيّة في الخليج

السهل الممتنع 10

الجمعيات السياسية والتواصل الاجتماعي 12

البحرين نور العين 32-30

موقفنا

في ذكرى انتفاضة مارس

في مارس/ آذار من كل عام تمرّ الذّكرى السّنويّة لانتفاضة مارس 1965 المجيدة، ذات الأهمية الكبرى في التّاريخ النّضاليّ لشعبنا، كونها حملت في مضمونها وتوجهاتها البُعدين الوطنيّ والاجتماعيّ؛ فهي من جهة انتفاضة وجهت ضد «الحماية» البّريطانيّة، ومصادرة الإرادة الوطنيّة المستقلة لشعبنا، وإحكام قبضة المستعمر على مقدرات البلاد، وحملت، من الجهة الأخرى، بُعداً اجتماعيّاً – طبقياً كونها عبّرت عن احتجاج الطّبقة العاملة البحرينيّة، خاصة في شركة النفط، ومجمل الجماهير الكادحة على أوجه الاستغلال الذي كانت الشّركات الاحتكاريّة تمارسه ضدها.

في أحد جوانبها الرّئيسيّة بدت انتفاضة مارس تجسيداً للمنجز الرّئيسيّ الذي استطاعت حركة هيئة الاتحاد الوطنيّ إحرازه، وهو وأد الفتنة الطّائفيّة التي أطلت برأسها في الخمسينات، وتوحيد جهود الشّعب تحت قيادة رموزه الوطنيّة من قادة الهيئة، سنّة وشيعة، في النضال من أجل الدّيمقراطيّة والإصلاحات السّياسيّة وإطلاق حرية العمل النّقابيّ.

انتفاضة مارس 1965 انتفاضة للشّعب كله من مختلف المناطق، بدءاً من المحرق مروراً بالعاصمة المنامة وجزيرة ستره وانتهاء ببقية قرى البحرين، والشّهداء الذين قدّمهم الشّعب في تلك الانتفاضة قرباناً لقضية الحرية والدّيمقراطية يتحدرون من مختلف تكويناته.

وإذا كانت هيئة الاتحاد الوطنيّ قد قيدت من قبل الشّخصيات الوطنيّة التي تميزت بدرجة عالية من المهابة والكاريزما السّياسية والمقدرة على التّأثير في الجماهير وتحشيدها في النّضال الوطنيّ، فان «نجاح» سلطات الحماية البّريطانيّة في تصفية الحركة باعتقال وسجن قادتها، أدى إلى نشوء فراغ سياسي في البلد، كان يمكن له أن يطول لولا أنّ التّنظيمات الوطنيّة السّريّة التي تشكّلت في منتصف الخمسينات مثل جبهة التّحرير الوطنيّ والتّنظيمات القوميّة، وبعضها تشكّل في قلب حركة الهيئة، قد نهضت بعبء قيادة انتفاضة 1965، وتحويلها من حركة عفويّة في بداية اندلاعها إلى حركة مُنظّمة، تجلت فيها كل مظاهر الانتفاضة في شروطها المعروفة من العصيان المدنيّ الشّامل إلى الإضراب عن العمل والتّوقف عن الدّراسة، والمسيرات الحاشدة ومظاهر الحداد الاحتجاجيّ، لا بل واستخدام السلاح ضد الرموز المجسدة للحماية الأجنبيّة، ولو في نطاق محدود.

وكانت لافتة المشاركة الواسعة والمُشرفة للمرأة البحرينيّة في تلك الانتفاضة، حيث كان للنّساء دور مشهود في فعالياتها المختلفة، وهو الأمر الذي اظهر ومنذ وقت مبكر استعداد نساء بلادنا وحماسهن لأن يكنّ دوما في قلب الكفاح لا من اجل حقوقهن كنساء فحسب، وإنما في مجمل النّضال الوطنيّ والدّيمقراطيّ للشّعب.

التقدمي

التقـــدمـــي ينعـــى الـــرفيـــق النقـــابـــي جـــواد الـــمرخـــي

نعى المنبر التقدمي الرفيق والمناضل والنقابي الرفيق جواد عبدالله المرخي، العضو السابق في اللجنة المركزية والمكتب السياسي، الذي رحل عنا في ٢٣ فبراير الماضي، إثر المرض الذي أدخله المستشفى قبل أكثر من شهر .

وقال التقدمي في بيان نعيه لفقيده: "كرّس رفيقنا الراحل حياته في الدفاع عن الطبقة العاملة والكادحين في بلادنا، منذ أن انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني في بداية سبعينيات القرن الماضي، وهو من مواليد عام 1949، في منطقة النعيم بالمنامة ، وترعرع فيها، وكان شاهداً على الأوضاع المعيشية الصعبة التي كان يعيشها الأهالي في منطقته وفي البحرين بشكل عام، في تلك الفترة، وعمل قبل تقاعده إطفائياً في الطيران المدني، وهو أبٌ لولد وثلاث بنات".

وجاء في البيان: "حدّد خياره السياسي بالانتماء إلى حزب الطبقة العاملة وسائر الكادحين في بلادنا ونشط في اللجان العمالية والنقابية السرية التي كانت تطالب بتشكيل النقابات العمالية، واعتماد الأول من مايو كإجازة رسمية في كونه عيد العمال العالمي".

وأشار البيان إلى أن الرفيق الراحل، وبعد الانفراج السياسي في فبراير من عام 2001، "ساهم مع رفاقه من تيار جبهة التحرير الوطني في تأسيس المنبر التقدمي في 12 يوليو 2001، كما أسّس مع رفاقه العمال والنقابيين تجمع النقابيين الديمقراطيين في عام 2004 ، ونشط في قطاع النقابات العمالية والمهنية في المنبر التقدمي، وأصبح رئيساً له في الفترة (2015 – 2019)، كما نشط في لجان أخرى في التقدمي، وكان ملتزماً بالكتابة في نشرة التقدمي الشهرية، عن تاريخ الحركة النقابية والعمالية في البحرين وقضايا العمال، كما ساهم مع رفاق آخرين في توثيق تاريخ الحركة النقابية البحرينية".

وأكّد البيان أنه بوفاة الرفيق "خسر التقدمي كادراً نقابياً بارزاً ومخلصاً للحركة العمالية والنقابية، ورفيقاً ملتزماً ووفياً لشعبه ولحزبه وأفكاره وقيمه.

التقدمي يعزي برحيل المناضلة اللبنانية ليندا مطر

تقدّم المنبر التقدمي بخالص العزاء والمواساة بوفاة المناضلة اللبنانية ليندا مطر، إلى الحزب الشيوعي اللبناني ولجنة حقوق المرأة اللبنانية، وإلى المركز الإقليمي العربي للاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي، وإلى جميع المنظمات داخل لبنان وخارجها، والى كل النساء المناضلات برحيل هذه المناضلة الصلبة التي وصفها بـ «أيقونة النضال ورائدة الحركة النسائية الوطنية المناضلة التي أثرت كثيراً في الحركة النسائية على مستوى لبنان وخارجه».

جاء ذلك في رسالة تعزية بعث بها أمين عام التقدمي عادل المتروك إلى الأمين العام للحزب الشيوعي اللبناني، الرفيق حنا غريب، قال فيها إنه «برحيل ليندا مطر خسرت الحركه النسائية التقدمية اللبنانية والعربية والدولية رائدة وقامة نسائية هامة سيبقى تراثها النضالي ملهماً لكل المناضلين والمناضلات من أجل التحرر والتقدم والمساواة والعدالة الاجتماعية».

العدالة الاجتماعية تتطلب حياة مدنية أكثـر إنصـافاً ومشـاركة شعبيـة أوسـع

شدّد المنبر التقدمي على أهمية إعادة بناء الثقة ومد الجسور بين كافة المعنيين من منظمات أهلية وسياسية ومن شخصيات وطنية ومكونات اجتماعية وكذلك مؤسسات رسمية للتوافق على المبادئ التي يجب أن تشكل أساس العمل المشترك نحو حياة مدنية أكثر إنصافاً ومستقبل سياسي أكثر إشراقاً.

وأكد التقدمي في بيان له بمناسبة اليوم العالمي للعدالة الاجتماعية عند رسم السياسة الاقتصادية والمالية على: «إعادة النظر في الخطوات والقرارات التي عمقت من واقع الهوة الاجتماعية وازدياد حدة التفاوت الطبقي»، مشيراً إلى أنه: «لم يلحظ أي خطوات فعلية تم إقرارها نحو خفض معدلات البطالة والقضاء على الفقر و رفع الأجور بل على العكس من ذلك، تم إقرار خطوات اقتصادية ومالية وإدارية تهدف إلى تسليم المشروعات الخدمية إلى القطاع الخاص وذلك بإنشاء مؤسسات رسمية موازية تحت مسميات أخرى مثل، هيئة الكهرباء والماء، هيئة جودة التعليم، هيئة الاتصالات، حتى بات عدد أجهزة الدولة الرسمية القائمة على تسيير شئون المواطنين 13 وزارة مقابل 25 تصنيف آخر غير وزاري مثل هيئات وإدارات وبنوك ومؤسسات وغيرها، حيث عملت هذه التصنيفات طوال السنوات الاخيرة على تكبيل عمل الوزارات واعتماد المشاريع التي يتم بموجبها تسليم القطاع العام إلى الخاص».

وواصل البيان: «كما تمّ ابتداع أسباب فرض رسوم على المواطنين لكل شاردة وواردة في الخدمات التي تقدّمها، ويأتي في طليعتها مشروع الضمان الصحي المزمع فرضه تحت مظلة تحسين الخدمات الصحية في حين أن المواطن البحريني على درجة كبيرة من الوعي ليعي مدى سوء سياسة إغراق المواطن بالالتزام مع شركات القطاع الخاص حيث يعلم الجميع أن همها الأساس تحقيق أرباح مالية دون النظر إلى الاعتبارات الاجتماعية الأخرى مثل مستويات دخل المواطنين والاعباء المعيشية والدعم المادي لمن يستحق وفق تصنيفه الطبقي وبالأخص الشرائح الفقيرة والمعدمة».

التقدمي: فكّ الحصار عن سوريا ورفض ازدواجية القـوى الإمبـرياليـة

قال المنبر التقدمي في بيان له بأنه: «حان الأوان لتقف الحكومات والدول العربية مواقف تعبر عن تطلعات شعوبها انطلاقا من المصلحة الوطنية، برفض قرار الحصار وتسيير أساطيل الغوث لنجدة الشعب السوري».

وأوضح البيان بأن: «الكارثة الكبيرة التي حلت بالشعبين السوري والتركي جراء الزلزال المدمر الذي ضرب مدن وقرى في الشمال السوري والجنوب التركي، أودت بحياة آلاف القتلى والجرحى وشردت الآلاف في ظروف في غاية الصعوبة والتعقيد، ولازالت فرق الإنقاذ تواصل رفع الأنقاض لانتشال أحياء أو أموات، والأمر أكثر سوءاً بما لا يقاس في سوريا، نتيجة الحرب الدائرة فيها منذ سنوات، والحصار والعقوبات الجائرة المفروضة عليها من الولايات المتحدة وبقيّة الدول الغربية، وتطبيق ما يعرف بقانون قيصر».

ولفت البيان بأنه: «على الرغم من أن الزلزال كارثة إنسانية لا تفرق بين أحد، فإن دول الناتو والإمبريالية الأمريكية ومن في فلكهما تسارع في تقديم الدعم والمساندة لتركيا وتغض النظر عن سوريا وشعبها، مظهرة، مرة أخرى، وجهها القبيح وازدواجية المعايير لديها، حتى إزاء كارثة إنسانية لا دخل للاعتبارات السياسية فيها».

فضفضة

المرأة المواطن

عيسى الدرازي

في دورته التاسعة ناقش المنتدى الفكري السنوي للمنبر التقدمي هذا العام، قضايا المرأة والحركة النسائية في مجتمعات الخليج العربي، بمشاركة باحثات من البحرين والكويت وعُمان والإمارات.

بحثت الأوراق التي طرحتها المتحدثات في المنتدى واقع المرأة الخليجية والتحديات الماثلة أمامها، حيث تشابهت حد التطابق تحديات وأمنيات النساء في البحرين والكويت وعمان وبقية دول الخليج، بل وحتى بعض الدول العربية وغير العربية، وهو ما أكّدته المناقشات التعقيبية إثر كل ورقة مقدمة.

هذا التطابق في الهمّ النسوي يدعو بحد ذاته إلى مراجعات شاملة ليس على صانع القرار فحسب بل حتى مؤسسات التشريع ومؤسسات المجتمع المدني وصولاً إلى الأسرة الصغيرة بصفتها نواة المجتمع الفاعلة والمحرك الأول للتأثير.

من جهة أخرى، لا يمكننا النظر بعين واحدة إلى التحديات التي تواجهها المرأة والحقوق الهامة التي تطالب بها دون وضع اعتبارات للصورة الكاملة لأي مجتمع كان، حين تكون حقوق المرأة في أي مجتمع منقوصة، فالحقوق بصورة شاملة في تلك المجتمعات غير كاملة وتحتاج إلى تتمة.

حيث لا يمكن الحديث هنا عن حقوق متجزأة أو أنصاف حقوق. قضايا كالتمثيل السياسي حرية والتعبير والمشاركة المجتمعية والسياسية وحتى الاقتصادية هي ليست للرجل دونما المرأة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون المرأة على هامش هذه الحريات والأمر ينطبق على الرجل كذلك بوصفهما، أي الرجل والمرأة، يحملان صفة مواطن، الحقوق والواجبات يجب ان تسير وفق نظرية المواطنة هناك واجبات يجب ان تؤدى على كلاهما وهنا حقوق ان يجب ينعم بها كلاهما كذلك.

يصح القول بأن المرأة تواجه أضعاف ما يواجه الرجل من تحديات وعقبات بل وحتى انكسارات، وهو عائد إلى أصل المشكلة التي تنظر إلى تقسيم الحقوق حسب الجندر، رجلأو وامرأة، وهو ما لا يصح، فالرجل والمرأة فاعلان في المجتمع بصفتهما كائنين يحملان شخصية اعتبارية واحدة هي شخصية المواطن.

٣ جمعيات سياسية:

الحوار السبيل الأنجع للحلول التوافقية وتجاوز جمود الوضع السياسي

دعت جمعيات المنبر التقدمي، التجمع القومي، والتجمع الوحدوي للوقوف وقفة جادة لمراجعة الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حيث أن مجمل الأحداث والتطورات تحتاج وقفة صادقة وقراءة هادئة لكل ما جرى ويجري على الساحة الوطنية، واستخلاص الدروس والنتائج التي يمكن أن تفتح الطريق الصحيح لمعالجة كل هذه التداعيات والوصول إلى حلول سياسية توافقية، وهذه مسؤولية الجميع في هذا البلد.

واستذكرت الجمعيات في بيان لها بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين للتصويت على ميثاق العمل الوطني والذكرى الثانية عشر للحراك الشعبي المطالب بالإصلاحات السياسية ، بكل اعتزاز نضالات وتضحيات الشعب وقواه الوطنية عبر عشرات السنين من أجل تحقيق مطالبه المحقة في الإصلاح السياسي والاقتصادي، والذي ظل متمسك بها إيماناً منه بعدالتها ومشروعيتها لأي مجتمع يطمح للتقدم إلى الأمام محافظاً على كرامة ووحدة أبناءه.

كما حيت الجمعيات الاجماع الذي عبر عنه الشعب وقواه السياسية والمدنية في الالتفاف على ميثاق العمل الوطني كتجسيد حقيقي للتوقعات والآمال الشعبية العريضة بالإصلاح، والتطلع إلى دستور عقدي وإطلاق الحريات العامة بما فيها حرية التعبير والتنظيم، وقيام دولة المساواة والعدالة والمواطنة الدستورية.

وقال البيان بأنه: « تواصل خلال العام الماضي الوضع السياسي المصاب بشبه الجمود، وتراجع وحوصر نشاط العمل السياسي والحقوقي والمدني من خلال ملاحقة واستدعاء النشطاء السياسيين والحقوقيين وجمعيات المجتمع المدني وتنفيذ نظام العزل السياسي وإغلاق عدد من الجمعيات الفاعلة، إلى جانب ملاحقة الآراء المعارضة عبر وسائل التواصل الاجتماعي وبقاء المعتقلين من ذوي الرأي والمسقطة جنسياتهم دون حلول». وأضاف البيان: «بالرغم من تقدير الجمعيات للتوسع في تطبيق قانون العقوبات البديلة والبدء بتطبيق نظام السجون المفتوحة، إلا أن ذلك لا يخفي حقيقة ضعف دور البرلمان الذي مررت تحت قبته وبموافقته عدد من التشريعات السالبة لحقوق المواطنين، مما ضاعف حجم التحديات التي يعاني منها الواقع السياسي».

من جانب آخر، أشار البيان إلى: « استمرار تدهور الحياة المعيشية للمواطنين وتصاعد صيحات الغضب في صفوفهم بسبب الغلاء الفاحش وارتفاع ضريبة القيمة المضافة وتدني مستوى الدخل ووقف زيادة معاشات المتقاعدين، إلى جانب ظواهر الفساد والتجنيس وإغراق البلد بالعمالة الأجنبية السائبة وسط تعاظم مستوى البطالة بين الشباب بالرغم من الأرقام التي تعلنها وزارة العمل عن توظيف العاطلين، الأمر الذي يستوجب التزام الوزارة بالشفافية والصراحة في تصريحات المسئولين فيها».

ولفت البيان إلى أن: «تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والمدنية يتطلب إدراك الأسباب التي أدت إلى تراجع العمل السياسي وغياب روح العمل الوطني التي جسدها الميثاق، ويقتضي بالضرورة إعادة صياغة واقع سياسي واقتصادي واجتماعي أكثر عدلاً وتوازناً من الناحية السياسية والاجتماعية، كما يقتضي مراجعة سلبيات وأخطاء العمل السياسي السابقة وما تبعها من انقسامات طائفية حادة والتوافق حول صيغ المشاركة في صنع القرار»، وتابع: «هذا التوافق يحتاج بدون شك إلى اعتماد مبدأ المواطنة المتساوية وسيادة القانون على الجميع، ومن المهم الإدراك أيضاً بأن مثل هذا الواقع الذي نتطلع إليه يجب أن يكون ثمرة لحوار مفتوح تشارك فيها كل الأطراف ومكونات المجتمع السياسية والدولة».

بعد أيام من مناقشة برلمانية عامة

«تقدّم» تبحث ملف استشاري السلمانية والأطبـاء الخـريجين مـع وزيـرة الصحـة

التقت كتلة تقدم البرلمانية بوزيرة الصحة لمواصلة بحث الملف الصحي وما طرح من أفكار ومقترحات خلال المناقشة العامة للملف الصحي قبل أيام.

وناقش النائب الأول عبدالنبي سلمان والنائب الدكتور مهدي الشويخ والنائب إيمان شويطر مع الوزيرة ملف بحرنة الوظائف في المستشفيات والمراكز الحكومية.

حضر اللقاء رئيس مجلس أمناء المستشفيات الحكومية الشيخ هشام آل خليفة والرئيس التنفيذي للمستشفيات الحكومية الدكتور أحمد الأنصاري، حيث تمّ تطرق لأهمية تشجيع الكوادر الطبية الوطنية من استشاريين واختصاصيين لاستمرارية البقاء والعمل عبر تقديم أنظمة حوافز ومكافآت بما يضمن عدم خسارة القطاع الطبي للكفاءات والخبرات الطويلة والمتخصصة.

وشدد نوّاب "تقدّم" على ضرورة الإسراع في وضع الأطر والمعايير اللازمة لتنفيذ البورد البحريني مع الاستمرار في طرح الشواغر عبر البورد العربي لتفادي وجود أي فراغ في سياسات التدريب ومخرجاتها، كما تناولوا أوضاع مرفق الطوارئ في مستشفى السلمانية باعتباره أهم مرفق طبي في أكبر مستشفى حكومي، وما شهده من نقص في الكوادر المختصة، والخطة التي ستعتمد لسد النقص والإحلال.

ناقش اللقاء أيضاً تفعيل المبادرات التي أعلن عنها مجلس الوزراء الموقر الأسبوع الماضي بدعم توظيف الكفاءات الوطنية الطبية في القطاع الخاص.

وأكدت "تقدم" خلال اللقاء على ضرورة تعزيز برامج التطوير الإداري والاستثمار الأمثل في العناصر البشرية البحرينية، مع ضرورة الارتقاء بالخدمات الطبية، مشددين على ضرورة الإسراع في الانتهاء من الهيكل التنظيمي للمستشفيات الحكومية لتعجيل البدء في خطط توظيف الأطباء البحرينيين.

في ندوة حول تقرير الرقابة المالية والإدارية... الكويتي:

لجنة برلمانية -مجتمعية لمراقبة حماية المال العام

قال الدكتور محمد الكويتي بأنه: «من المصلحة ان يتم اعادة النظر في كيفية التعامل مع تقرير الرقابة المالية والادارية وتحقيق الغاية منه»، مشيراً إلى أنه: «من الممكن ذلك بتشكيل لجنة برلمانية تستعين بمؤسسات المجتمع المدني والجمعيات المهنية والنقابية والسياسية وغرفة التجارة».

ولفت الكويتي في ورقته التي قدمها خلال ندوة نظمها المنبر التقدمي بعنوان (تقرير الرقابة المالية والإدارية ومؤشر مدركات الفساد)، إلى أن: « المصلحة تقتضي ان يكون التقرير فاعلا في الحفاظ على المال العام ورفع كفاءة وفاعلية السلطات في الدولة بتحسين الخدمات العامة باقل قدر من الموارد».

وأوضح: «يبدأ اعادة النظر في وضع تعريفات للمصطلحات والمفاهيم التي ترد في برامج الحكومة وفي تقارير الرقابة واهمها المال العام ومستوى المعيشة والحد الادنى للدخل»، وتابع: «كذلك يتطلب الامر تعزيز قدرة مجلس النواب وادوات المساءلة المتاحة له وكذلك تقوية وسائل الرقابة المجتمعية مثل الصحافة والجمعيات المهنية والنقابية والسياسية».

وأضاف الكويتي: «من اهم متطلبات تعزيز الرقابة وحماية المال العام وتحسين الاداء انشاء جهاز وطني لقياس الاداء تابع لمجلس النواب يضع مؤشرات ويقوم بنشرها دوريا منطلقين من قناعة بان النقد يؤدي الى الاصلاح والتطوير والتقدم». وشدد على أنه:» لابد من المسارعة في وضع حلول للقضايا التي تلازمنا منذ عقدين او اكثر وتؤثر على العلاقة بين المجتمع والدولة منها تزايد اعداد الشباب العاطل عن العمل، وتباطؤ تنويع الاقتصاد ومصادر الدخل، وتعزيز دور الصحافة في

محمد الكويتي

خدمة قضايا المجتمع والدولة، والاهم اعادة النظر في صلاحيات مجلس النواب والقواعد المنظمة لعمله وعلاقته بالسلطة التنفيذية وبالدولة».

وواصل الكويتي: «هناك قضايا تتكرر سنة بعد اخرى سواء كانت ضمن تقارير الرقابة ام لا ، لكنها تؤثر في اداء السلطات وفي حسن استخدام الموارد، منها تكرار العجز في الميزانية وتزايد الدين العام؛ البطالة والبحرنة وعبارة- جعل البحريني الخيار الاول- لم تعالج قضية التوظيف والاحلال؛ تنويع مصادر الدخل وعدم ربط الدخل بالنشاط الاقتصادي؛ ضعف التخطيط او على الاقل نشر تفاصيل الخطط كما يرد في برامج عمل الحكومة واعتباره خطة متكاملة بدلا من الخطط الخمسية التي كانت توضع سابقا (2009-2014)؛ تعزيز دور الصحافة في الرقابة من خلال رفع مستوى حرية التعبير والايمان بان النقد يؤدي الى الاصلاح والتطوير والتقدم».

وقال الكويتي بأنه: «يتضح من هذا التقرير ان هناك حاجة الى نظام وطني لتقييم

شرف الموسوي

وقياس الاداء منفصل عن تقرير الرقابة المالية تابع لمجلس النواب، على ان تقدم الحكومة خطة كل اربع سنوات او خمسية كما كان في السابق في حالة اذا لم يتم الاتفاق على وضع اهداف تفصيلية محددة بمعايير مزمنة في برنامج الحكومة»، مشيراً إلى أن: «هذه قضية اصبحت ضرورية لمتابعة التنمية وتحقيق الهدف المتعلق باشراك القطاع الخاص في التنمية وتعزيز ثقة المستثمر الاجنبي».

وأردف: «نرى ان التوازن المالي يقوم على فرضية اننا قادرون على السيطرة على الايرادات. لكن بما ان 70٪ من الايرادات هي نفطية، وعرضة لتقلبات السوق فان السيطرة عليها غير ممكن وخارج عن ارادتنا، لذلك فان تطبيق التوازن المالي قد لا يتحقق باي درجة من الموثوقية، وبالتالي فان الدين العام عرضة للتزايد مالم نضع حلولا مستقلة عن تقلبات سعر النفط».

وأشار إلى أن: «عملية الرقابة المالية والادارية متعددة الابعاد لا يمكن لديوان الرقابة القيام بها بشموليتها، لذلك فان جانب مهم ينبغي ان يتحقق من خلال تقييم والاداء وان يشترك المجتمع في المناقشة على مختلف المستويات».

فساد بدون مفسدين

من جانبه، قال عضو مجلس ادارة جمعية الشفافية البحرينية شرف الموسوي بأن: « البحرين تتبوأ المركز 69 وهو أفضل عن العام السابق 2021 بـ 9 درجات، وكذلك تحسن نقاطها من 42 الى 44 وهذا التحسن ليس بسبب الإجراءات المباشرة في الحد من الفساد، بل لسببين رئيسيين هما الأول تحسن الإجراءات المتعلقة بالتنافسية الاقتصادية، حيث حصلت البحرين على درجة 81٪ في تقييم التنافسية الاقتصادية وهذا رفع من معدل القياس الذي تعتمده مراكز البحوث التي عملت على تحليل الوضع في البحرين بالمقابل حصلت البحرين على درجة 28٪ فيما يتعلق بوضع حقوق الانسان».

وواصل: «السبب الثاني كما تقول الشفافية الدولية ان هذه التغيرات البسيطة في الدرجات لا يؤشر الى تطور جذري قد حصل ولكن ربما حدث نتيجة سوء المؤشر في الدول الأدنى وبذلك يرتفع الترتيب بهذا المقدار».

وأوضح الموسوي: «لا نرى إن هناك عمل مباشر لمكافحة الفساد، كما يقال دائما، هناك فساد ولكن لا يوجد فاسدين، ولم تبدل البحرين جهود واضحة من أجل تنفيذ اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد وعلى سبيل المثال لم يتم الالتزام بإصدار قانون انشاء الهيئة المستقلة لمكافحة الفساد، أو قانون لحماية الشهود والمبلغين أو إصدار استراتيجية وطنية لمكافحة الفساد كما لا يتم الاستفادة من تقرير ديوان الرقابة المالية والإدارية».

الحراك الطلابي بين الماضي وتطلعات المستقبل في ملتقى التقدمي

نظمّ ملتقى التقدمي ندوة بعنوان: «الحراك الطلابي البحريني بين الماضي وتطلعات المستقبل» تحدث فيها رئيس المجلس الطلابي سابقاً في جامعة البحرين للتكنولوجيا ورئيس رابطة المجالس الطلابية في الجامعات البحرينية الطالب عبدالله الغضاير. استعرض الغضاير في ورقته تاريخ الحراك الطلابي في البحرين منذ بداياته الاولى في الخمسينات والستينات، مروراً بتأسيس الاتحاد الوطني لطلبة البحرين من قبل جبهة التحرير الوطني البحرانية، والذي نشط بشكل سري، وقدم سرداً للأحداث التاريخية التي مر بها الحراك الطلابي وصولاً إلى تأسيس الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في العام 1972، حيث وصفه الغضاير بأنه الأقوى حتى يومنا هذا.

وقال «تمكن طلبة البحرين الذين كانوا يدرسون في الخارج من تأسيس اتحادهم بشعار نحو حركة طلابية تقدمية في الخليج العربي، وحضرته روابط طلابية بحرينية عددها تسع عشرة رابطة اثنتان منها في أوروبا والبقية في أرجاء الوطن العربي». وبيّن بأن: «من بين أهداف الاتحاد الطلابي كانت الدفاع عن مصالح الطلبة والمطالبة بحقوقهم وحل مشاكلهم، والمطالبة بمجانية التعليم وحصول الطالب على كافة حقوقه، وتوفير المعاهد، والمطالبة بتأسيس جامعة عصرية في البحرين، والعمل على تأسيس اتحاد وطني في البحرين، ونشر الوعي النقابي».

وشدد الغضاير على: "أهمية تغيير الانظمة الأساسية للمجالس الطلابية بما يتوافق مع العصر الحالي، وتحفيز الشباب البحريني على الدخول والمشاركة بأكبر قدر ممكن"، وتابع: "على الرغم من المجال المتوفر تحتاج المجالس إلى صلاحيات أكبر لحراك وتفعيل الدور بشكل أكبر لنشاطاتها"، وأشار إلى أنه: " الطالب الجامعي يبدأ بعمر الـ 18 عام ومشاركته في الأمور الطلابية تعد سبيل للانخراط في المجتمع والجهوزية لمؤسساته".

تضامن عمالي مع رئيس النقابة العمالية لشركة البا

أعلنت 12 نقابة عمالية عن تضامنها مع رئيس النقابة العمالية لشركة «ألبا « يونس آل مبارك، ورفضت إقدام إدارة شركة ألبا إحالة رئيس النقابة للجرائم الالكترونية بسبب مطالبه العمالية المُحقة والتي تتناغم مع نص وروح قانون العمل المحلي والاتفاقيات الدولية ذات الصلة بالعمل النقابي.

وأكدّت نقابات، العامة للإنشاء والمقاولات والخدمات، نقابة عمال جارمكو، نقابة أسري العمالية، النقابة العامة للمضيفين الجويين، نقابة العاملين في شركة أرامكس، نقابة ميدال للكابلات، نقابة عمال بلكسكو، نقابة عمال شركة دي اتش ال للشحن، نقابة طيارين طيران الخليج، نقابة الحد للطاقة، النقابة العمالية العامة لمجموعة فولاذ، والنقابة العامة لعمال الموانئ البحرية، على الالتزام بحرية التعبير وقانون النقابات وضرورة العمل بمنهجية الادارة الفاعلة لتنمية الموارد البشرية وإشراك العمال وممثليهم في جميع اللجان العمالية وضرورة حماية وتحصين ممثلي العمال من المضايقات.

إطلاق دليل تدريبي لتعزيز دور المرأة في النقابات العمالية 2023

أطلقت لجنة شؤون عمل المرأة العربية بمنظمة العمل العربية، دليلا تدريبيا لتعزيز دور المرأة في النقابات العمالية، حيث تبين بعد دراسة أن وجود النساء في مواقع القيادة النقابية ما زال لا يعكس وجودها وإسهاماتها على مستوى النقابات القاعدية، أو حضورها ومشاركتها في القطاعات المهنية كالصحة والتعليم، الأمر الذى يستلزم تطوير الفكر المجتمعي نحو مشاركة المرأة في النقابات العمالية.

ودعت لجنة شؤون المرأة العربية، برئاسة الدكتورة سولاف درويش أمين عام اللجنة، الامين العام للاتحاد العربي للعاملين بالمصارف والتأمينات والأعمال المالية، ووكيل لجنة القوى العاملة بمجلس النواب المصري، بحضور ممثلات المرأة عن أطراف العمل الثلاث بالدول العربية، خلال اجتماعها للدورة الحادي والعشرين ممثلي النقابات في الدول العربية لتبني هذا الدليل التدريبي واستثماره في بناء قدرات النقابيات في الدول العربية.

وأشارت الدكتورة سولاف درويش خلال كلمتها في الاجتماع الى أن إعلان «صلالة» الذى أقرته لجنة شئون عمل المرأة العربية هو بمثابة خارطة طريق للسياسات الموجهة إلى المنطقة العربية، من أجل تنفيذها خلال هذه الدورة 2021-2023 من أجل تمكين مشاركتها في التنمية الشاملة بكافة أبعادها التي أقرها المنتدي الثاني للمرأة العاملة وحشدت له منظمة العمل العربية كافة المؤسسات الداعمة لريادة الأعمال.

جدير بالذكر أن المشاركات أشدن بالاهتمام بتمكين مشاركتها في المجالس النيابية والحكومة والعمل الدبلوماسي، وأكدن على تعزيز دور المرأة داخل المنظمات النقابية العربية للمشاركة في التنمية المستدامة وتنفيذ خطة عمل اللجنة وأهدافها لإنجاح الاستراتيجية العربية حتى عام 2030، واستعرض الاجتماع تقرير عن نتائج المؤتمر العشرين لمجتمع الأعمال بشأن دعم رائدات الأعمال بالوطن العربي.

«اليوم السابع» – 22 فبراير 2023

بحرينية رئيساً للمجلس المركزي للاتحاد العربي للمصارف

انتخب الاتحاد العربي للمصارف والتجارة والشؤون المالية، رئيسة نقابة المصرفيين البحرينية الآنسة نورا الفيحاني، رئيساً للمجلس المركزي للاتحاد العربي، ونائب رئيس نقابة المصرفيين البحرينية هيثم رشدان أمينا عاماً مساعداً للشباب.

جاء ذلك خلال انعقاد مؤتمر المجلس المركزي للاتحاد العربي لعمال المصارف والتأمينات والأعمال المالية بمدينة الغردقة في جمهورية مصر العربية، وبحضور وفود نقابية عربية، عن بلدان السعودية والكويت والسودان واليمن وفلسطين والأردن وسوريا والجزائر والعراق ولبنان.

جدير بالذكر أن الاتحاد العربي لعمال البنوك والتأمينات والأعمال المالية، عضو في الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب الذي يضم في عضويته اتحادات نقابية عربية تُمثل ما يقرب من 100 مليون عامل عربي.

«الأيام» – 05 فبراير 2023

كاريكاتير خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

قاعدة بيانات إلكترونية محدثة لجميع العمال الأجانب

أكّدت وزارة العمل، على أنه توجد لدى هيئة تنظيم سوق العمل قاعدة بيانات محدثة لجميع العمال الأجانب سواء المرتبطة بتصاريح العمل أو المعلومات الإدارية والرقمية المرتبطة بالجهات الأخرى ذات الصلة، وعليه فإن الهدف من المسوح الميدانية متحقق، خاصة وأن غالبية البيانات متوفرة ويمكن تحصيل أي بيانات أخرى بطرق إلكترونية وباستخدام البيانات المسجلة، مثل تفاصيل بيانات المهن والأجور والمنشآت ودرجة الطلب عليها وغيرها.

وتابعت أنه في حال كان تصريح العمل المطلوب للعامل الأجنبي لشغل مهنة تستوجب الحصول على ترخيص من جهة حكومية لمزاولتها، فإن آليات وإجراءات هيئة تنظيم سوق العمل تلزم صاحب العمل الحصول على ترخيص من الجهة الحكومية المرخصة قبل إصدار تصريح العمل، حيث إن جهات الترخيص هي المعنية فنياً بفحص مؤهلات العمال الأجانب المراد استخدامهم بموجب تلك التراخيص.

كما تابعت بأنّ السياسات الحكومية في توفير فرص العمل تعتمد على منظومة متكاملة من الخطط والإجراءات المتوازنة، حيث تدعم الخطط نمو القطاع الخاص في توليد المزيد من فرص العمل والذي يضم 70٪ من القوى العاملة الوطنية مقارنة بالقطاع العام والذي تشكل نسبته 30٪، كما أن نشاط الاقتصاد وتوليد فرص العمل المناسبة للمواطنين في القطاع الخاص يعتمد بالدرجة الأولى على قدرة المملكة على جذب الاستثمارات الخارجية، وذلك يتطلب انفتاح سوق العمل البحريني ومواكبته للتغيرات العالمية، وأن تكون البيئة المنظمة جاذبة من الناحية التشريعية والتنظيمية من خلال التسهيلات الممنوحة، وتتبع في ذلك سياسة التحفيز ودعم القطاع الخاص على توليد فرص العمل المناسبة من خلال معالجة أي صعوبات تتعلق بالكُلفة أو المهارة، ما يجعل البحريني مطلوباً في سوق العمل.

وبغرض التخلص من العمالة غير النظامية التي تشغل وظائف غير مهارية، نوّهت وزارة العمل بأنه قد تم تمديد فترة الإعلان عن الوظائف في الصحافة لطلبات الاستقدام من الخارج لثلاثة أسابيع، واستحداث نظام العمالة المسجلة، إلى جانب تكثيف التفتيش على العمالة غير النظامية.

«الوطن» – 15 فبراير 2023

بمشاركة قانونية ونيابية

حلقة حوارية في التقدمي تناقش قيود اللائحة الداخلية على صلاحيات النوّاب

قال النائب السابق السيد فلاح هاشم أنه فيما كان الاتجاه في التعديلات الدستورية عام ٢٠١٨ في ما يختص بالأسئلة في إتجاه توسيع صلاحيات النواب نسبياً بحيث مكنت أعضاء السلطة التشريعية حق توجيه الأسئلة الى أعضاء مجلس الوزراء من غير الوزراء وكان الأمل في المضئ قدما في توسيع هذه الصلاحيات إلا أن التعديلات المتعاقبة على اللائحة الداخلية للمجلس، جاءت في إتجاه معاكس لهذا التوجه بحيث أفرغته من محتواه الإيجابي.

من جانبه أشار المحامي حسن اسماعيل إلى إن اللائحة الداخلية التي تنظم الشؤون الداخلية لمجلس النواب من أهم الوسائل التي تساهم في الدفع بعمله على نحو يمكنه من القيام بواجباته المحددة في الدستور على الوجه الأفضل، إذ تتضمن اللائحة مجموعة من القواعد الإجرائية والموضوعية تتعلق بشكل واختصاصات الأجهزة الرئيسية للمجلس وكيفية أداء الوظائف والصلاحيات التشريعية والرقابية.

فيما قال عضو المكتب السياسي للتقدمي المحامي محمود ربيع إن التعديلات الجديدة على اللائحة الداخلية لمجلس النواب تنتقص من صلاحيات المجلس النواب وتقلص من الأدوات التي كانت متاحة، حيث ألغى المرسوم حق مجلس النواب في تشكيل اللجان النوعية الدائمة، وجعل حق تشكيل اللجان المؤقتة بناءً على اقتراح رئيس المجلس فقط، بعكس النص السابق الذي يُجير للمجلس بناءً على طلب مُقدم من خمسة أعضاء على الأقل أن يُشكل لجان أخرى دائمة أو مؤقتة وأن يضع لكل لجنة ما يراه من أحكام خاصة في شأنها.

جاء ذلك في الحلقة الحوارية التي نظمّها المنبر التقدمي وعقدت في مقره حول التعديلات المقترحة على اللائحة الداخلية لمجلس النواب بمرسوم بقانون صدر في عطلة مجلس النواب، وشارك في الحلقة نواب كتلة «تقدّم» الثلاثة: عبدالنبي سلمان، د.مهدي الشويخ، إيمان شويطر، وممثلون عن بعض الجمعيات السياسية وشخصيات وطنية مستقلة، وافتتحت بكلمة للأمين العام للتقدمي الرفيق عادل متروك.

فلاح هاشم: التقييد على السؤال البرلماني

تناول النائب السابق عن «تقدّم» السيد فلاح هاشم في ورقته القيود التي أدخلت على اللائحة الداخلية، وصادرت من صلاحيات أعضاء السلطة التشريعية منها ما يختص بالسؤال، مشيراً إلى ما نص عليه التعديل في المادة (134): بموجب المرسوم بقانون رقم (49) لسنة 2018 بعدم إمكانية تقديم سؤال متعلقاً بسابقة على الفصل التشريعي، ما لم يكن موضوع السؤال مستمراً خلال الفصل التشريعي الذي وُجِّه فيه السؤال، وما نتج عنه من تقييد لأعضاء السلطة التشريعية من مسائلة الوزراء عن ما يتم في ما يسبق الفصل التشريعي ذاته من مخالفات وتجاوزات لم تنكشف الا مؤخراً أو جرى تجاهلها في فصول تشريعية سابقة أو قد حصلت في فترة عطلة المجلس بين الفصلين أو جائت في تقرير الرقابة المالية المقدم للمجلس في دوره الاول بحكم انه يتناول فترة سابقة لذالك وبذلك ينعدم إمكانية المسائلة فيها.

كما تطرق هاشم إلى حصر جواز استبعاد السؤال بشخص رئيس المجلس وفي حالة الاعتراض يعرض على هيئة المكتب ويكون قراره نهائياً وفي هذا التعديل تركيز السلطات لدى الرئيس وهيئة المكتب وتجاوز لحق الهيئة العامة لمجلس النواب ومصادرة لدورها كأعلى سلطة في المجلس في تقرير ما تراه مناسب.

وعرج على التعديل الاخير بموجب المرسوم بقانون رقم (38) لسنة 2022 بالتعديل على المادة (138) لتضيف قيد آخر بتحديد «حق التعقيب لنائب على الوزير لمدة لا تزيد على خمس دقائق، وللوزير أن يعلّق على ذلك، فإنْ أضاف الوزير جديداً تجَدَّد حق العضو في التعقيب لمدة لا تزيد على ثلاث دقائق».

وأشار هاشم إلى أهمية السؤال كإحدى الادوات الرقابية للنائب لتأدية مهامه في مراقبة أداء السلطة التنفيذية في تنفيذ الدستور وتطبيق القوانين. وقد تمكنه من كشف خلل ما في التطبيق أو مخالفة أو تجاوز للقوانين أو حتى نقص في التشريعات مما يمكنه في التقدم باقتراحات لتعديلات تشريعية في القوانين لمواكبة التحديات والتطورات التي تتطلبها مسيرة العمل العام في البلد، أو المضئ في درجة أعلى في الادوات الرقابية التي تنص عليها الائحة والدستور كطلب تشكيل لجنة تحقيق أو التقدم بطلب إستجواب لأحد الوزراء إذا ما توفرت لديه القناعة في ذلك.

مؤكداً «أن ما يساعد على تكوين هذا الاعتقاد ليس لدى السائل من النواب فقط وإنما بقية النواب في متابعتهم لعرض إجابة الوزير ومدى تفنيد ذلك من النائب اذا ما تمكن في تعقيبه على إجابة الوزير والتي تتطلب الوقت الكافي لذلك خاصة في ظل ما يتمتع به الوزير من صلاحية مطلقة بالنسبة للوقت في الرد، فبتقصير وقت النائب لهذه الدرجة هو ما يعني عملياً إنتفاء إمكانية التعقيب بحكم ان التعقيب يتطلب إستعراض بعض المستندات والحقائق التي قد تكون في حوزة النائب وقد تكشف عن عدم دقة إجابة الوزير أو مخالفتها للواقع المعاش وهذا يتطلب وقت لن تسعف النائب هذه الدقائق المحدودة».

وطالب هاشم أعضاء المجلس بموقف يدافع عن

المحامي محمود ربيع

المحامي حسن إسماعيل

جانب من الحضور

صلاحياتهم، خاصة وان المرسوم بقانون هو بين أيديهم وهم من سيقرر رفضه أو القبول بمزيد من القيود بالانصياع لما جاء به المرسوم والبحث عن تبريرات كسابقيهم ممن وافقوا على تقليص صلاحياتهم في مواقف عديدة.

إسماعيل: مصادرة حق المجلس في وضع لائحته الداخلية

المحامي حسن إسماعيل اكد على أن البحث في (إصلاح اللائحة الداخلية لمجلس النواب) يكتسي أهمية بالغة ومجلس النواب مازال في بداية دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي السادس ولبيان أهمية النظام الداخلي لعمل النواب ولمزيد من المعرفة من أجل (تعزيز صلاحياته الدستورية في الرقابة والتشريع).

وأشار إلى أن المشرع في البحرين «أفرغ القواعد التشريعية التي تنظم الشؤون الداخلية لعمل مجلس النواب في لائحة داخلية صدرت من السلطة التنفيذية بتاريخ 23 أكتوبر 2002 بموجب مرسوم بقانون رقم (54) لسنة 2002، جرت عليه 7 تعديلات طوال الفصول التشريعية الخمسة الماضية جاءت من الحكومة أربعة منها بموجب مرسوم بقانون أي صدرت في غيبة المجلسين ما بين أدوار الانعقاد أو ما بين الفصول التشريعية، كان أخرها المرسوم بقانون رقم (38) لسنة 2022، صدر قبيل إجراء الانتخابات في 23 أكتوبر 2022.وثلاثة منها جاءت بموجب قانون تم اقتراحها من مجلس النواب نالت وقيدت في أغلبها عمل المجلس في استخدام وسائل الرقابة على أعمال الحكومة وفي التشريع»، في الأعوام 2010، 2012، 2014، 2015، 2018، 2020، 2022.

ونوه إسماعيل إنه "على الرغم أن من أبرز مظاهر استقلال مجلس النواب عن السلطة التنفيذية هو أن يقوم بنفسه بوضع وإقرار لائحته الداخلية التي تنظم شؤونه الداخلية كما هو الحال في دستور الكويت والأردن ومصرإلا أن السلطة التنفيذية في البحرين هي من وضعت هذه اللائحة بموجب مرسوم بقانون رقم (54) لسنة 2002 ضمن عدد من المراسيم بقوانين التي صدرت قبل أول اجتماع يعقده المجلس الوطني والتي حصنها الدستور من عرضها على المجلس لإقرارها والتصويت عليها بموجب المادة (121/ب) من الدستور التي نصت على (يبقى صحيحاً ونافذاً كل ما صدر من قوانين ومراسيم بقوانين ومراسيم ولوائح وأوامر وقرارات وإعلانات معمول بها قبل أول اجتماع يعقده المجلس الوطني ما لم تعدل أو تلغ وفقاً للنظام المقرر بهذا الدستور).

وأضاف إسماعيل أنه "وعلى الرغم أن هذه المادة الدستورية أجازت للمجلس أن يعدل فيها أو يلغيها وفقا للأوضاع المنصوص عليها في الدستور، وعلى الرغم أن المادة (94) من دستور مملكة البحرين قد نص على القانون هو الأداة التي تبين نظام سير العمل في كل من مجلس الشورى ومجلس وأن لكل من المجلسين أن يضيف إلى القانون المنظم له ما يراه من أحكام تكميلية، إلا أنه طوال الفصول التشريعية الخمسة الماضية ظلت السلطة التنفيذية هي المهيمن على تعديلات اللائحة الداخلية لمجلس النواب إذ صدرت 7 تعديلات، منها 4 صدرت بموجب مرسوم بقانون أي باقتراح من الحكومة، و3 منها صدرت بموجب قانون أي باقتراح من مجلس النواب بفرض قيود جديدة على اختصاصات وصلاحيات المجلس، ومنها القيود التي فرضت على وسيلتي المناقشة العامة والاستجواب».

ربيع: لائحة جديدة توافقية

المحامي محمود ربيع استعرض للمرسوم بقانون رقم (38) لسنة 2022 بتعديل اللائحة الداخلية لمجلس النواب مبيناً ان التعديل قد صدر خلال العطلة التشريعية دون أن يتوفر ركن الإستعجال في اصدارها بموجب – مرسوم بقانون– حيث أن المادة الدستورية اشترطت أن تتوفر حالة تُوجب الإسراع في اتخاذ تدابير لا تحتمل التأخير، وما يعزز هذا الرأي أن مجلس الشورى ينظر –اقتراحاً بقانون– بتعديل لائحته الداخلية يحمل ذات الأحكام الإجرائية، بحيث يُمكن للإعضاء مجلس الشورى تعديل المواد ورفض بعضها، بعكس مجلس النواب الذي سيكون أمام خيار الرفض او القبول.

وأضاف ربيع أن التعديلات الجديدة حصرت بعض الصلاحيات بيد رئيس المجلس من قبيل اتخاذ الإجراءات المتعلقة بالاخلال بنظام الجلسة كالمنع من الكلام في موضوع معين أو بقية الجلسة أو الانذار و اللوم، وقصرت عرض المقترحات لأخذ الرأي عليها على الرئيس، بينما كانت هذه الإجراءات بيد المجلس.

كما انتقد ربيع التعديل الخاص بحذف الفقرة (3) من المادة (2) والتي تقرر حق مجلس النواب بتقرير ما يراه بشأن مشروعات القوانين التي اقترحها أعضاء المجلس السابق وقامت الحكومة بصياغتها، إذ بعد حذف هذه الفقرة أصبح للحكومة صلاحية طلب الاستمرار في مشروعات القوانين المقدمة منها أو المقدمة من السلطة التشريعية، فإذا لم تطلب الحكومة استمرار النظر في هذه المشروعات بنوعيها خلال الفترة التي حددها النص أُعتُبِرَت غير قائمة.

وفيما يتعلق بحق السؤال قال ربيع أن تقيد حق التعقيب على الوزير عند عرض السؤال بمدة لا تتجاوز خمس دقائق حسب التعديل الجديد لا يتناسب مع حق في توجيه الأسئلة ومناقشتها والتعقيب عليها لاسيما في المواضيع ذات الأهمية، مع الإشاره أن صلاحية السؤال قد تعرضت لقيود سابقة بموجب المرسوم رقم (49) لسنة 2018 .

وبين ربيع أن المرسوم بقانون الجديد تضمن مواد جديدة أولها سحب جميع الوسائل التقنية من الهواتف النقالة والأجهزة اللوحية أو أية وسائل أخرى من الحاضرين في الجلسة لضمان عدم الإخلال بسرية الجلسة أو تسريب أية معلومات بشأنها، ويلتزم من حضر الجلسة السرية بعدم إفشاء ما جرى فيها بأيٍّ وجه من الوجوه.

وثاني هذه الإضافات ما ورد في المادة (209) مكرر والتي تنص على أنه في حال كان العضو قد شغل وظيفة عامة وتخلّى عنها بسبب عضويته في مجلس النواب، فإنه يجوز عند انتهاء مدة عضويته بانتهاء الفصل التشريعي إعادة تعيينه أو توظيفه في وظيفة مماثلة لتلك التي تخلّى عنها بسبب اكتسابه عضوية المجلس، حيث أن هذا التعديل قد يؤدي الى محاباة بعض النواب للوزراء طمعاً في إعادة التعيين أو التعين في وظيفة مماثلة، أو قد يؤدي الى الحد من ممارسة العضو لصلاحياته الرقابية لذات السبب.

وأختتم ربيع ورقته بالتأكيد على أنه بات من صالح التجربة البرلمانية أن تصدر لائحة داخلية جديدة بتوافق برلماني سياسي بعد أن أصبحت اللائحة الحالية مليئة بالقيود الى درجة يمكن معها القول أن الاستجواب كأداة رقابية أضحت شبه مستحيلة، وأن المناقشة العامة أصبحت غير ذات جدوى بعد التعديل الذي صدر بموجب القانون رقم (26) لسنة 2020 والذي لا يُجيز أن يشترك في المناقشة العامة أكثر من عشرة أعضاء، وأن ألا تزيد مدة مداخلة أي عضو على خمس دقائق.

مطرقة البرلمان

البطالة .. السهل الممتنع

للوهلة الأولى يبدو للمتابع العادي لقضية البطالة في البحرين على الرغم من كل تعقيداتها وتداعياتها القائمة بأنها اصبحت كما السهل الممتنع، حيث تبدو في بعض جوانبها وكأنها متعذرة بل حتى صعبة الحلول، فيما على الجانب الآخر وبلغة الارقام المعلنة وطبيعة وهيكلة سوق العمل في البحرين تبدو كأنها سهلة المنال وبالامكان ايجاد حلول ناجعة لها. بكلمة اخرى تبدو البطالة أحياناً كثيرة وكأنها أمراً عارضاً يمكن تجاوزه بشيء من التنظيم والقرارات الإدارية.

عبدالنبي سلمان

لكن، هل هذا هو الواقع الفعلي على الأرض؟! وهل المسألة في متناول الدولة والقطاعين الخاص والعام؟! أم أن لذلك وجوه وارهاصات متأصلة وقائمة لا يريد المعنيون حتى ملامستها أو الحديث حولها بشيء من العقل والإرادة؟!

لا أدعي أنني أمتلك الجواب الشافي، بل لا احد بإمكانه أن يضع وصفة سحرية لذلك، في بلد صغير المساحة وبعدد سكان لا يتجاوز المليون والنصف في تعداده، يشكل الأجانب نسبة لا تقل عن 53٪ من تعداد السكان حيث يمثل الاجانب اكثر من 700 الف من قوة سوق العمل، فيما لا يتجاوز اعداد المواطنين العاملين في القطاعين العام والخاص ال150 الفاً فقط من بينهم ما لا يقل عن أكثر من 7400 أجنبي يعملون في القطاع العام.

تلك أرقام لها دلالات لا يمكن اغفالها إذا ما أردنا فعلا أن نلامس قضية البطالة بشيء من الواقعية، حيث أن لتلك النسب ومن الوهلة الاولى دلالة واحدة ووحيدة، مفادها أن هناك تشوهات واضحة المعالم في سوق العمل لا يمكن التسليم أبداً بالتعايش معها، فهي نتيجة حتمية لنهج اقتصادي غير حصيف البتة، لا يمكن له إلا أن ينتج مثل هذه التعقيدات والتشوهات مضرة، ولها حتماً انعكاسات سلبية مدمرة لا يمكن الهروب منها، مهما حاولت ارقام ونسب وزارة العمل وديوان الخدمة المدنية أن تجمل كل هذا القبح وهذا التشوه غير المحمود.

فالمتابع لسوق العمل البحريني اليوم يستطيع بوضوح أن يراقب العديد من المؤشرات التي للأسف لا يجري التعاطي معها بروح المسؤولية أحيانا، وأحيانا بكثير من الاستخفاف والاستغفال غير المسؤول أو بطريقة الهروب للأمام، فيما تتراكم تعقيدات معضلة البطالة وتتوارث الوزارات والجهات المعنية تلك القضية وكأن لسان حالها يقول ليس بالإمكان أفضل مما كان!

فيما يأكل الفقر والجوع والقهر والتمييز شرائح واسعة من شباب وشابات الوطن، في وقت دخلت شرائح المقيمين منافساً قوياً بات يحظى بكل أسف بحظوة الكثير من أصحاب الأعمال في سوق استهلاكي غير منتج، يعتاش كثيرا على ما تقدمه الدولة من مشاريع شحيحة.

لماذا إذا نقول إن واقع البطالة المرير يبدو وكأنه كما السهل الممتنع؟!

الاجابة على ذلك يمكن استحضارها من تلك الأرقام الرسمية التي لا يبدو معها الأمر بكل هذا التعقيد لو أننا امتلكنا بالفعل برامج وخططاً حقيقية غير تلك التي تتعاطى مع هذه المشكلة حالياً بأسلوب الترقيع احيانا وبردّات الفعل المتعجلة التي لا تمتلك الرؤية ولا تقدر أبداً على الاقناع مهما حاول مطلقوها.

المسألة من وجهة نظري لا تحتاج إلى كل تلك الأرقام أو الهروب الدائم إلى الأمام او حتى تلك البرامج الخائبة بكل أسف، المسألة تحتاج فقط لإرادة وقرار سياسيين على أعلى المستويات يتفهم مخاطر وارتدادات مشكلة البطالة اجتماعياً واقتصادياً وحتى أمنياً، ولا يجب التردد في ذلك أبداً، فالمسألة لم تعد محصورة في شرائح محددة من الخريجين كما عهدنا ذلك من قبل، فالبطالة أضحت تطال الأطباء والمحامين والممرضين والمحاسبين وخريجي القانون والمعلمين ومدرسي التربية الرياضية وعمال الحراسات وعمال سوق التجزئة وغيرهم وهؤلاء هم اساسا من يمثلون مقومات الطبقة الوسطى والتي بكل بساطة يعتمد عليها الاقتصاد وتقاس بها مؤشرات النمو والرفاه الاجتماعي، فيما تراجعها أو حتى مجرد اهمال المعالجات المطلوبة لإصلاح وضعها المقلوب سينتج حتما مجتمعا فيه من التشوه والعقد والمصاعب وحتى الجرائم، لا سمح الله، ما لا نتمناه لبلدنا...ببساطة لا نحتاج لأن نستمر في حالة انكار وتطمينات لا تستطيع الصمود امام الحقائق المعاشة على الارض...فقط نحتاج لقرارات سياسية عاجلة فالبطالة وتداعياتها لن تنتظرنا مناكفاتنا طويلاً!

الماضي الحاضر

الخامس عشر من فبراير ليس تاريخاً عابراً، بل هو شمعة باقية تضيء سماء الوطن، حيث الأحداث السياسية التي وقعت في البحرين منتصف الخمسينيات من القرن الماضي بقيادة هيئة الاتحاد الوطني خلقت مداً ثورياً وحماسا جماهيريا منقطع النظير في التصدي والمواجهة ضد الوجود الاستعماري البريطاني في البلاد، ففي غمرة تلك الأحداث تمّ تشكيل جبهة التحرير الوطني البحرانية، ذلك التشكيل لم يكن ضرورة مجتمعية وشعبية وحتمية تاريخية فحسب، بل جاء انعكاسا لما يتطلع اليه شعب البحرين بمختلف فئاته وطبقاته إلى الحرية والحياة الكريمة الخالية من استغلال الإنسان للإنسان، ناهيك عن النضالات الرائعة والتضحيات الجسام من اجل الاستقلال الوطني من براثن الاستعمار البريطاني الغاشم الذي دنس ارض الوطن وجثم على انفاسه منذ العام ١٨٦١ حتى عام ١٩٧١ الذي حسم فيه نهاية الانتداب والوجود البريطاني في البحرين والخليج العربي بانهاء ما تسمى بمعاهدة السلام الموقعة بين الطرفين، فكان الرابع عشر من اغسطس عام ١٩٧١ اعلان استقلال البحرين والذي كان استقلالا مبتورا بسبب وجود القواعد العسكرية البريطانية من جانب وادارة جهاز المخابرات بقيادة هندرسون من جانب آخر.

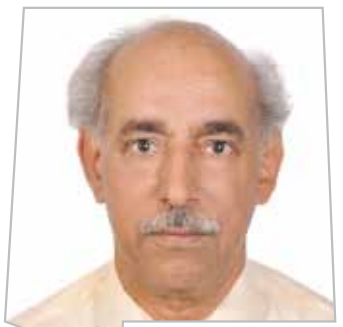

حسن جاسم رضي

ومن الادلة على ذلك أنه لم يتم بتلك المناسبة الوطنية الافراج عن كافة المعتقلين والمحكومين سياسياً، بالرغم ان هذا الاستقلال جاء تجسيدا لنضالات شعب البحرين وتضحياته الجسام منذ نشوء جبهة تحرير البحرين عام 1910 بقيادة عبدالوهاب الزياني حتى اعلان الاستقلال، تلك التضحيات تمثلت في المنافي وأقبية السجون واستشهاد العديد من خيرة وشرقاء الوطن.

ان تلك النضالات والتضحيات لم تكن منفصلة عن الدور السياسي للأحزاب التي نشأت في عهد الاستعمار البريطاني، بل كانت مرتبطة نماما بالدور القيادي لتلك الأحزاب، ومن بينها جبهة التحرير الوطني التي تأسست في الخامس عشر من فبراير عام 1955 على يد مجموعة من خيرة ابناء الشعب البحريني من الطبقة العاملة البحرينية والمثقفين المستنيرين المؤمنين بالفكر الماركسي اللينيني والمسترشدين في تحركاتهم الثورية بالنظرية العلمية ذات النهج الماركسي اللينيني.

فقد بدأت الجبهة تعمل وتنشط سراً في ظروف قاسية واستطاعت أن تتغلغل في صفوف الشعب خاصة الطبقة العاملة التي كانت تمثلها، فكوّنت خلاياها الحزبية ولجانها المتخصصة "العمالية والطلابية والشبيبة والنسائية"، فكانت الأحزاب الشيوعية الشقيقة وعلى رأسها الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية انذاك سندا كبيرا للجبهة في تدريب كوادرها الحزبية وتطوير لجانها المختلفة.

الجدير بالذكر أن الجبهة كانت دوما في مقدمة نضالات الشعب البحريني والتحركات الجماهيرية برؤاها الواضحة المعالم؛ تلك الرؤى نمثلت في برنامجها السياسي الصادر عام 1962، الذي تضمّن تحليلاً دقيقا للواقع السياسي وصياغة شاملة لمتطلبات وطموحات الشعب البحريني في تحركاته ضد الهيمنة الاستعمارية البريطانية بما في ذلك اقامة التحالفات الوطنية مع مختلف الاحزاب السياسية آنذاك .

إن نضالات الجبهة لن تتوقف حتى في ظل المتغيرات الدولية والمحلية بالرغم من العديد من الضربات القاسية التي تلقتها والتي كان آخرها الهجمة الشرسة في عام 1986 التي تركت أثراً ملموسا في شل وتجميد النشاط السياسي والجماهيري للجبهة بصورة مؤقتة.

وها هو فبراير من هذا العام يشهد ظروفاً مغايرة تماما لمنتصف القرن الماضي الذي شهد مدّاً ثورياً على المستوى العالمي وحرباً باردة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، انتهت بسقوط الاتحاد السوفيتي وسيطرة القطب الواحد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. هذا الوضع أدى إلى التراجع في نشاط الأحزاب الشيوعية العالمية والحركات السياسية التقدمية، الا ان جبهة التحرير الوطني ظلت متمسكة بمبادئها وقوة ايمانها بنهجها المستند على النظرية الماركسية اللينينية، حتى جاء عهد الانفتاح السياسي والسماح بالعمل السياسي العلني للجمعيات السياسية وتشكيل النقابات العمالية وبدء الحياة البرلمانية منذ بداية القرن الحالي.

ان التاريخ السياسي لنضال الشعب البحريني يؤكد أن الخامس عشر من فبراير مناسبة عزيزة لا يمكن نسيانها، بل من الفخر أن يحتفى بها لما لها من مكانة تاريخية لنضالات وتضحيات خيرة أبناء هذا الوطن، بالرغم من انشغالات العالم بالأوضاع العالمية التي لها اثرها بشكل مباشر وغير مباشر على أوضاعنا المحلية، وأبرزها الأوضاع المتمثلة في الحرب على النازية ومواقف الدول والأحزاب من تلك الحرب الدائرة على الاراضي الاوكرانية.

ان نضالات شعب البحرين من أجل تحقيق تطلعاته وطموحاته في العيش الكريم، لا يمكن أن تتوقف على المتغيرات، بل يسعى دوما للعمل على تطوير العملية الديمقراطية التي أقرّها ميثاق العمل الوطني والدستور عبر جمعياته السياسية المعلنة رسميا بما فيها المنبر التقدمي الذي يعدّ، الامتداد التنظيمي والفكري لنشاط الجبهة، حيث تشكّل من أعضاء الجبهة وأنصارها والمؤيدين للفكر الماركسي اللينيني الذي اثبت مدى صحته وقدرته على التحليل والتمحيص للأوضاع العالمية على المستوى السياسي والاقتصادي حتى يومنا هذا .

إن المنبر التقدمي منذ تاسيسه حتى اليوم لازال يسترشد بالتراث الاشتراكي والتقدمي ومتمسكا بالنهج الديمقراطي في اتخاذ القرارات والتوجهات من منطلق احترام الراي والرأي الآخر في اطار الوحدة الوطنية والتنظيمية، فهو يسعى دائماً من أجل ترسيخ الحياة الديمقراطية وتطويرها بما يخدم الوطن والمواطن عبر البرلمان وخارجه، وهذا واضح من خلال تحركات ومساعي وجهود أعضاء كتلة تقدّم داخل البرلمان وخارجه.

الجمعيات السياسيّة والتواصل الاجتماعي

يمر المجلس النيابي بمرحلة من تراجع في صلاحياته. أحد الأسباب هي القيود التي تفرضها اللائحة الداخلية، فضلا عن قانون الانتخابات وتوزيع الدوائر الانتخابية ووجود مجلس الشورى في صيغته الحالية. كل ذلك يؤدي إلى اضعاف السلطة التشريعية، وبالتالي ارتفاع مستوى الاحباط في المجتمع ومطالبة البعض بحل مجلس النواب.

في هذا المقام لا بد أن نذكر بان سلامة الدولة وقوتها وقدرتها على التعامل مع متطلبات توفير الحياة الكريمة لمجتمعها وحسن استغلال مواردها يعتمد على كفاءة وفاعلية المؤسسات، وسلامة السياسات وجودة التنفيذ وشمولية التقييم والمتابعة. لا يتم ذلك إلا إذا تحقق مستوى عال من التوازن بين قوة وقدرة مؤسسات الدولة واجهزتها، وقوة المجتمع ومنظماته وتنافسية السوق (قطاع أعمال خاص وعام) وانضباطه وحسن توجيهه. هذا يعني أن مؤسسات الدولة بحاجة إلى المساءلة والمحاسبة على النتائج لرفع كفاءتها وتتمكن من حسن استغلال الموارد ورفع مستوى الأداء في بيئة تتسم بالنزاهة والشفافية والالتزام بمبادئ الحوكمة الرشيدة. والسوق بحاجة إلى رقابة المجتمع والدولة لتحسين ادائه والحد من الاحتكار والاستغلال، والمجتمع بحاجة الى الدولة لفرض عدالة القانون لحفظ امنه وحقوقه وحماية ضعفائه.

تحقيق التوازن المؤدي إلى المحاسبة والمساءلة يحتاج إلى مجتمع حيوي مشارك بفاعلية، ممثل بمجلس نواب يعبر عن تطلعاته وتوقعاته للمستقبل، قادر على تأدية مهامه الرقابية والتشريعية ومتمكن منها. يحتاج إلى مجتمع منظم في جمعيات (أحزاب) سياسية ومنظمات مجتمع مدني قادرة على تقويم أداء السلطات الثلاث والوقوف بحزم تجاه أي تجاوزات أو سوء أداء. كما يحتاج التوازن إلى قطاع أعمال يمتلك قدرات تمكنه من اقتناص الفرص الاستثمارية وخلق قيمة مضافة وتوفير فرص عمل مجزية لمواطنيها في بيئة عمل محفزة وضامنة لحقوق الملكية المادية والفكرية ضمن سيادة القانون وتكافؤ الفرص، وخاضع لمراقبة المجتمع والدولة.

هذا التفاعل الثلاثي بين الدولة والمجتمع والسوق كان الحاكم في تطور الدول وتقدمها وقيام الامبراطوريات وافولها، وهو كفيل برفع قدرات مؤسسات الدولة والتزامها بجودة الأداء وبالنزاهة والشفافية وحقوق الانسان وحسن ادارة المال العام، وكفيل بتمكين المجتمع من الرقابة والمساءلة. كما يخلق هذا التوازن منظومة متكاملة ترتفع قدراتها من خلال التفاعل والتاثير المتبادل بين مكوّناتها الثلاث.

هذه الرؤية عززها الميثاق الوطني بتركيزه على أهم القيم الأساسية التي ينبغي أن تحكم المجتمع والدولة والسوق ليتحقق التوازن الايجابي. وقد اكد ميثاق الملّ الوطني على قيم العدالة والمساواة وحقوق الإنسان وحرية التعبير والتجمع وأسس لحماية المال العام وحرمته، وأوكل لهم مسؤولية تحقيق هذه الرؤية واحترام القيم والمبادئ التي قام عليها. فإلى أي حد نجحنا؟

انطلقت التجربة الديمقراطية بوضع دستور ليترجم مبادئ وقيم الميثاق، وبدأت الحياة البرلمانية في 2002 بانتخاب مجلس نواب وتعيين مجلس شورى، وصدر قانون الجمعيات السياسية لينظم عملها واتسع المجال لتكوين منظمات مجتمع مدني مهنية ونقابية وحقوقية وسياسية، معلنة بذلك مرحلة

د. محمد الكويتي

جديدة من تاريخ البحرين السياسي اتسم بحيوية المجتمع وتفاؤله في المشاركة السياسية.

بدأ مجلس النواب بداية فاعلة نسبيا وحقق مكاسب وانجازات، غير ان ذلك لم يستمر لعدة اسباب اهمها أحداث سنة 2011. بعدها بدأت سلسلة من التراجعات في صلاحيات المجلس النيابي منها قيام السلطة التنفيذية بإحداث تعديلات على اللائحة الداخلية لمجلس النواب وتقييد الاستجواب بجعل تمريره يحتاج إلى ثلثي الاعضاء، ومؤخراً تقييد المناقشة العامة، والآن هناك مرسوم بقانون رقم 38 لسنة 2022 يزيد من هذه القيود. بالاضافة إلى ذلك، وُضعت على الجمعيات السياسية شروط مثل ربط استحقاق الدعم بوصول أحد مرشحيها إلى المجلس النيابي مما اضطر بعض الجمعيات السياسية إلى حل نفسها، وأخرى توقف نشاطها وبقيت أسماء دون فاعلية تذكر، واقتصر الامر على عدد محدود من الجمعيات السياسية تحاول أن تؤثر في الحياة السياسية وتمثل مصالح المجتمع.

أثر هذا الضعف في نظرة المجتمع إلى الجمعيات السياسية وتعرض بعضها إلى حملات تشويه وفضل المجتمع انتخاب المستقلين لمجلس النواب بالرغم من علمه بأن العمل السياسي هو عمل جماعي مؤسسي. أدى كل ذلك إلى تراجع دور الصحافة المحلية في القدرة على النقد والتحليل والقيام بدور استقصائي مؤثر في التعامل مع شبهات الفساد والتجاوزات وسوء الاداء.

اضعفت هذه الاجراءات مؤسسات ومنظمات المجتمع، انعكس هذا الضعف على حيوية المجتمع وجعلته قليل الفاعلية في التاثير في السياسة العامة للدولة. كما اثر هذا الضعف سلبا في اداء السلطة التنفيذية بعد ان فقدت عنصر النقد والمساءلة والمحاسبة التي هي اهم عوامل تحفيز الاصلاح والتقدم والالتزام بالنزاهة والشفافية وحسن استغلال الموارد، وبذلك فقد المواطن والمجتمع وسائل الضغط على السطة التنفيذية والتشريعية في تامين مكتسباته والدفاع عن حقوقه.

يتضح مما تقدم أن حيوية المجتمع وقوته هي عنصر مهم وأساسي في استدامة تقدّم الدولة وحسن أداء السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية. تقوية المجتمع تتم من خلال تقوية مؤسساته ومنظماته المدنية، المهنية والعمالية والسياسية والاعلامية.

في هذا العصر وبعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي استطاع المجتمع أن يوصل صوته إلى الجهات المسؤولة ويعبر عن انتقادات وتظلمات قد لا تصل من خلال الوسائل التقليدية.

وهناك استغلال تلقائي لهذه الأداة، وجعلها أكثر قدرة على التأثير في القرار كما حدث في نهاية 2018 عندما علت اصوات المجتمع برفض قانون التقاعد مما حدا بمجلس النواب إلى رفضه بالاجماع ومن ثم تمّ سحبه من قبل جلالة الملك المعظم.

تمثل وسائل التواصل الاجتماعي، إذن، أداة مهمة يمكن للمجتمع ومنظماته الاستفادة منها في تعبئة الرأي العام لصالح قضاياه المطروحة، أمام المجلس والحكومة. السؤال اليوم أولاً، كيف يمكن للجمعيات السياسية التعاون مع نشطاء وسائل التواصل الاجتماعي في توصيل رؤيتها في المشاركة الفاعلة في الحياة السياسية واستعادة دورها المؤثر في تحقيق سلامة واستقرار الدولة وازدهار الاقتصاد الوطني ورخاء وتقدم المجتمع. ثانياً، كيف تتمكن من اقناع الرأي العام بالضرر الناتج من التعديلات على اللائحة الداخلية على صلاحيات المجلس والنواب وزيادة اضعافه بحيث لا يتمكن من أداء دوره الرقابي والتشريعي وما يترتب على ذلك من تقصير في خدمة المجتمع والدولة والاقتصاد الوطني. ثالثا كيف يمكنها أن تقنع المجتمع بأن العمل السياسي البرلماني هو عمل جماعي تقوم به جمعيات سياسية ذات قدرة على طرح المشاريع المتكاملة، وان ذلك يتعذر على الاعضاء المستقلين الذين يختلفون في خلفياتهم الفكرية ويصعب عليهم تشكيل تكتلات فاعلة نظرا لاختلاف خلفياتهم الفكرية وتشعب مصالحهم. أمام الجمعيات فرصة المبادرة بالتعاون مع نشطاء وسائل التواصل الاجتماعي بالعمل على هذه المحاور الثلاثة بهدف تقوية المجتمع ككل.

كذلك على الجمعيات انتهاز الفرص في اشراك المجتمع في مناقشة قضايا تمس الحريات وصلاحيات المجلس. مثل هذه الفرص متوفرة وأهمها ما يطرح اليوم في المجلس حول المرسوم بقانون 38-2022 والذي ينص على تعديلات في اللائحة الداخلية للمجلس تفاقم من تقليص صلاحيات المجلس والنواب ووضعه تحت وصاية الحكومة ورئيس المجلس. في هذا المرسوم الكثير من المواد التي تقلص صلاحياته وبالتالي على الجمعيات السياسية توصيل ذلك إلى الرأي العام وتنظيم ندوات وحملات "اعلامية مجتمعية" لبيان تأثير هذه التعديلات. كذلك دور الجمعيات بيان أن ضعف المجلس في تمرير تشريعات تصب في مصلحة المواطن مرتبط بضعف المجتمع ومنظماته المختلفة وتقليص دور الجمعيات السياسية ومشاركتها في المجلس، والتاكيد على أن العمل البرلماني عمل جماعي تقوم به جمعيات (أحزاب) سياسية أكثر قدرة على طرح المشاريع المتكاملة.

لا بد إذا من رفع الوعي في المجتمع بأهيمة استقلالية السلطة التشريعية والتاكيد على أن استقلالية المجلس تقتضي أن يختص المجلس نفسه بوضع لائحته الداخلية كما في دول عربية أخرى مثل الكويت والأردن ومصر. والتاكيد على أن فاعلية المجلس تستوجب تخفيف القيود على أدواته الرقابية مثل المناقشة العامة والاستجوابات، وأن تدخل السلطة التنفيذية في وضع اللائحة الداخلية واجراء تعديلات عليها تفرض مزيداً من القيود على اختصاصات وصلاحيات المجلس. مثل هذا التدخل المؤدي إلى زيادة تقليص صلاحيات المجلس قد يؤدي إلى فقد ثقة الناس فيه وارتفاع مستوى الاحباط في المجتمع.

هذه نتائج غير محمودة العواقب وقد تؤثر على الأمن والاستقرار الذي هو هدف وغاية أساسية للمجتمع والدولة والسوق ومصلحة وطنية عليا.

فبراير ١٩٥٥ طير في سماء البحرين

عمال بابكو ونقلهم في سيارات(سالم الخطر) والعامل ينتظر وبجانبه غدائه في(الصفر طاس)

قاسم الحلال

١- البداية..

في صبيحة الأول من يونيو من العام 1939 من القرن الماضي تفجر البئر رقم 1 من البئر 45، ومن هنا انتهز المستعمر البريطاني الوضع المتردي الذي يعيشه الغواصون من جشع(النواخذة) في أوقات الغوص، حيث بعدهم عن أهاليهم لفترات طويلة تزيد عن الفترة المتفق عليها، وعدم مراعاة عطلات العيد ،وعدم إعطاء أهمية لحرمة الميت، حيث العودة إكرام للمتوفي ولأهله، هذا عدا القلة في الزاد والماء، وبهذا فكر المستعمر في استغلال تفجر البئر رقم 1، وأعلن طلب عمال للعمل في الشركة في نفس المنطقة التي تفجر فيها البئر(الجبل)، فقام الغواصون بالذهاب للعمل في الشركة، وأطلق العنان للشركات البريطانية لاصطياد اللؤلؤ بلا ضرائب ولارقيب ولاحسيب، وقام المستعمر أيضاً باستغلال العمال الغواصين، منتهزاً حصولهم على مرتب شهري دائم، الأمر الذي جعلهم ينتبهون لهذا الاستغلال بفضل توعيتهم وتعليمهم من قبل المناضلين الشباب الذين يعملون في السر، حيث قام الشباب المثقف الذي ارتأى خطوات تختلف عن خطوات هيئة الاتحاد الوطني التي تتمتع بمقارعة الاستعمار ولم تهادنه، حيث تعرض الكثير من قادتها إلى السجن والنفي، وأبرزهم عبدالرحمن الباكر وعبدالعزيز الشملان ورفاقهما ونفيهم إلى جزيرة (سانت هيلانا) البريطانية.

لكن العمل النضالي أتى بثوب جديد حيث قام شباب مثقف أخذ عهداً على نفسه بمقارعة الاستعمار مهما بلغت التحديات ومواصلة النضال، حيث قام هذا النفر جبهة التحرير الوطني في 15 من فبراير 1955 بمنهج (الفكر الماركسي اللينيني)، وذلك وسط حذر شديد وسرية تامة آنذاك، حيث أسهم الحزب الشيوعي العراقي وحزب الشعب الإيراني (توده)، بدعم تأسيس الجبهة مثل أي حزب يساهم في دعم رفاق له.

فما سهل على حراك الطبقة العاملة التي تبنته الجبهة وبرز في أولويات أدبياتها، حيث ازداد نشاط طبقتنا العاملة، وبدأت الانتفاضات في مارس من الأعوام من1965،1956، 1969، 1972، وقد شاركت فيها جميع فئات الشعب البحريني بكل انتماءاته، عمالاً ومثقفين، واستمرت الانتفاضات رغم القمع والاعتقالات والمداهمات.

٢- الإضرابات في البحرين

مارس 1965 قام عمال شكرة النفط البحرين المحدودة (بابكو)، وهي إحدى الشركات الفرعية المملوكة بالكامل لشركة أمريكية، وهي معروفة الشركة الشهيرة الوحيدة التي تتصرف في استخراج النفط الخام وتكريره، قام العمال في الشركة ومعظمهم من العمال العاملين على ظهر سفن الغوص، وعلى اثر هذا الاضراب نتيجة لفصل ما يقارب 400 عامل، وقد بررت الشركة عملية الفصل لهذا العدد لاستبدالهم بأجانب لرخص الأيدي العاملة الأجنبية، التي أعطى مبرر العمال المفصولين بالتقدم بشكوى إلى وزارة العمل، وتسمى آنذاك (دائرة العمل البحرينية)، ومن ثم بدأوا بإضراب وتجمهروا أمام الشركة ومن ثم توسع اضرابهم الشامل، وساندهم عمال الشركات في البحرين وفي مقدمتهم عمال الشركة في (عوالي) المقر الرئيسي للشركة، ولعدم استجابة وزارة العمل لشكواهم توسعت حركة الإضرابات في عموم البحرين.

وقد شارك في الاضراب الطلاب والمثقفون وتعاظمت حركة الإضرابات لتشمل قطاعات كبرى بعد أن كان العدد قليل وتزايدت وأصبحت انتفاضة في كل ربوع البحرين، وفي صبح تجمهر المضربون عند دوار مستشفى الطب النفسي بعد أن تمركزت قوات من الجيش (الحرس الوطني)، وذلك بعد علمهم بأن المضربين سيوقفون سيارات الشركة (سالم خطر) التي تصطف في مواقفها التي تتوقف في المكان المخصص لها في محل (ديري كوين) حالياً، حيث ذهب عمال الشركات إلى هذا المكان في منطقة القفول من جميع الشركات عبدالله ناس، العفو، كريمي، جون هورد، براون اند روث، فيليب هولزمان وتفاجأ الجيش والشرطة بهذه الاعداد والتي انبطح بعض العمال امام باصات الشركة التي تحمل بعض العمال من شركة بابكو، وذلك لمنعها من السير، لكن الضابط المسؤول أمر سائقي السيارات بالمشي على المنبطحين، فنزل سائقو الباصات ورموا مفاتيح السيارات وقالوا (طال عمرك احنه ما نمشي السيارات على بني آدم) فقام الضابط بإعطاء أمر لاعتقال بعض العمال واطلاق قوارير مسيل الدموع بقصد تفريق المحتجين، ومن ثم استمرت الانتفاضة رغم الاعتقالات، وقد تقدّمت النخب الوطنية باحتجاجات واستنكارات .

إن الطبقة العاملة أصرت على مواصلة الاحتجاجات لأيام متواصلة ،في حين نظمت الطبقة العاملة صفوفها وبنت تنظيمها (الاتحاد الوطني لعمال البحرين)، والذي أصرّ الوقوف في وجه هذه الاعمال التعسفية رغم الاعتقالات، وبعدها حقق الشعب مطلبه في السبعينات بعد رحيل المستعمر وتحقق أهم مطلب وهو الضفر بالبرلمان والذي فازت فيه كتلة الشعب بفوز كبير بعدد 8 مقاعد لنواب الكتلة وتحققت الكثير من المطالب بدعم الحركة الوطنية والعمالية التي أكدت على حرية العمل النقابي، وفعلاً قام عمال الإنشاء بتشكل نقابة والتي أعدّت أكبر نقابة من بين النقابات التي تحقق تشكيلها، حيث صدر قرار من وزارة العمل والشؤون الاجتماعية السماح للعمال بتشكيل نقابات، فتتالى تشكّل النقابات في دوائر الكهرباء والصحة والمطار وألبا بتشكيل اللجان المشتركة، ومن ثم النقابات في طور التشكيل مثل بابكو وسليب واي والبريد، الأمر الذي جعل طبقتنا العاملة إلى تهدئة الإضرابات حفاظا على مسيرة الحراك الوطني التي تتصدى لمقاومة الجشع البرجوازي والاستغلال .

لكن هذا البريق الجميل لم يدم، حيث أقدمت السلطة على حل البرلمان وعطلت بنود الدستور وجمدت معظم القوانين التي فتحت الآمال للشعب، واعتقلت بعض النواب منهم محسن مرهون وعلي ربيعة، وفي خطوة بالتواصل مع اتحاد العمال العرب أقدمت الحكومة على حضور مؤتمرات الاتحاد بوفد حكومي مطعم ببعض العمال، مما رفضت من قبل الاتحاد، وطلب منها الحضور بشكل عمالي لا حكومي.

في صبيحة 22 أكتوبر العام 1974 في تمام الساعة الثانية عشرة وخمس دقائق جاء خبر صدور المرسوم بقانون بشأن تدابير (قانون أمن الدولة) نافذاً، وتمّ تطبيقه على خمسة من المعتقلين، وساد التوتر آخر جلسة وبدأ النواب مباشرة بالتشاور وفي يوم 31 أحال رئيس المجلس الأستاذ حسن الجشي المرسوم بقانون إلى اللجنة المختصة، (لجنة الشؤون الخارجية والدفاع) والتي شكلت اجتماع في 25 نوفمبر، وتواصلت العرائض الشعبية تطالب بإسقاط المرسوم. والذي رفضته كتلتا (الشعب والوسط)، أما الكتلة الدينية فكانت مترددة في البداية، ولكنها انضمت انضمت لاحقاً للأغلبية في رفضه، حيث قامت الدولة بحلّ المجلس، وساد الوطن حزن بعد فرح بعلاج الأمور عبر بيت الشعب، عبر الديمقراطية.

ملاحظة: في الخامس عشر من أكتوبر 2007 احتفلت شركة نفط البحرين (بابكو) بمرور 75 عاماً على استخراج النفط في البحرين 1923-2007، وقد شارك في الاحتفال ما يقارب 18 ألف مشارك وبهذا يكون قد مضى تسعون عاماً على استخراج النفط في البحرين (1923-2023).

المصلحة البحرينية أولاً

في المقال الأخير، قمنا بالاشارة إلى بعض الكلمات الهادفة، من أجل ايصال المعاني المنشودة، ذات الأهمية والدلالة في حياتنا. وقد أتت كلمة المصلحة البحرينية، في أعلى هذه الكلمات وضوحاً وجدارة.
بين الوضوح والتردد، هنالك مسافةٌ واضحةٌ بينهما، ومن أكبر الأخطاء أن نقع في هذه المسافة؛ في هذه اللحظة الحرجة والاستثنائية، على المستوى الاداري والاقتصادي بالدرجة الأولى. هذه المسافة، التي تكبر وتتسع يوماً بعد آخر، وقد أصبحت شديدة الوضوح، في العقد الأخير من حياتنا.

جعفر محمد

إن الثقافة البحرينية في هذه المرحلة، تُعاني اليوم من أزمة الانتماء، في المصلحة البحرينية والمصلحة العامّة، وفي المواطنة والهوية؛ وهو من نتائج التراكمات الماضية، في الحلول المؤقتة والمواقف المترددة. وهنا نتسائل عن طموحات التغيير المنشودة، في ظل وجود هذه الأزمة، والتي سنحاول البحث عن حقيقتها في هذه المقالة، من أجل الحاضر ومن أجل المستقبل.
عندما نحاول الوصول إلى أسباب هذه الأزمة، نتعرف سريعاً على العقلية التقليدية الكامنة في مجتمعاتنا، والتي نراها من خلال تبادل الاتهامات وعدم تحمُّل المسؤولية، تلك التي تعكسها السطحية المتزايدة في ثقافتنا الاجتماعية.
الطريق إلى النضج السياسي، هو أحد المسارات الرئيسية التي تساهم بتعزيز المصلحة البحرينية في حياتنا، والتي ستوصلنا بدورها إلى ما وصل إليه الوعي البحريني اليوم؛ الذي دخل في متاهات الانتماءات المذهبية والفئوية، من خلال الخضوع والتسليم للقوى التقليدية، التي تعمل على إلغاء العقل وإلغاء الفرد، والرجعية بمجتمعاتنا نحو الماضي وأوهام الفضيلة. ولا ننسى هنا أيضاً، الحداثة التقليدية، التي تتظاهر بالتقدُّم، ولكنها تعكس القيم الفئوية، البعيدة عن الايجابية وقيم المصلحة العامّة.
إن تحقيق الوعي البحريني اليوم، يتبلور من خلال الوعي الثقافي والاجتماعي للمصلحة العامّة، والبرنامج السياسي الذي يغفل عن الجانب الثقافي والاجتماعي، لا يساهم أبداً في تحديث المجتمعات وتطوير المؤسسات؛ لأن الجوانب الأخيرة، هي الدليل الواضح على حيوية البرامج السياسية، للمهتمين والفاعلين، في العمل السياسي والشأن العام.
الثقافة الاجتماعية اليوم في البحرين، لا زالت تعيش حالة التردد وعدم الوضوح في مسألة التقدُّم. وهذه الحالة، تؤثر كثيراً على الوعي البحريني المنشود؛ والذي نطمح منه الكثير من خطوات التقدُّم، في المدنية الراقية والحداثة الهادفة، لخير الحياة والانسان. إن كلمة التغيير من أكثر الكلمات تداولاً في حياتنا، والأقل تفعيلاً في وجودنا. ويعود السبب الكبير في ذالك، إلى هذه الحالة من الجمود والتردد في مبدأ التقدُّم. ومن أجل الوصول إلى الغد الأفضل، يتعيَّن على البحرينيين، الوضوح والمسؤولية في هذه المسألة؛ لأن مفاهيم التراجع والتخلُّف، جاهزةٌ دائماً لأخذ هذه المجتمعات إلى الوراء، والتشابه هنا كبيرٌ جداً، بين التقاليد الاجتماعية وبعض السياسات الحكومية. وبيئة الأمان الحقيقية، تكمن في ذالك الوضوح من القيم التقدُّمية؛ تلك التي يختصرها الوعي البحريني العام، من خلال قيم التحديث والتجديد الدائم.
مكانة الهوية البحرينية أيضاً، قد وصلت اليوم إلى مستويات متراجعة جداً، ومعالجتها تكمن في فهمها أولاً، والعنوان العام في هذه المكانة، يكون عبر الانتماء والمواطنة. وأما العنوان الخاص في هذه المسألة، فتعكسه المعاني الهادفة، من خلال العمل والانجاز في تعزيز قيم الخير العام، على مستوى المجتمع والدولة. وثنائية الحقوق والواجبات، هي نوعٌ من الالتزام الحضاري، الذي نواجه به الأزمات والتحديات في حياتنا الحاضرة، تلك الخاضعة لمفاهيم الجمود والأنانية.
المفاهيم والأفكار في مجتمعنا الذي نعيش فيه اليوم، قد وصلت أيضاً إلى مستويات جذرية خاطئة، في الموقف والنظرة إلى المؤسسات الرسمية والحكومية، عبر موقف اللامبالاة والسلبية، من الأداء الحكومي العام وخدمات المؤسسات العامّة. وهذه المواقف، بعيدةٌ عن الايجابية والنقد الهادف. والغايات المنشودة والضرورية في هذه المسألة، تكون من خلال صياغة الوعي الجديد في ثقافتنا البحرينية، أي في ثقافة الانسان البحريني. وهذه الأزمة بالتحديد، تدعمها العادات السيئة والمفاهيم الخاطئة، التي يمارسها الأفراد، داخل وخارج المؤسسات.
إننا اليوم في البحرين، نعيش مرحلة الاختبار الأصعب، من خلال الوصول إلى النهايات الخطيرة، على ضوء تراجع الرؤية الشاملة، الوطنية والعادلة والمخلصة، لخارطة الاستقرار السياسي العام للبحرين؛ والذي نتج عن ذالك، الكثير من الخسائر والأزمات، تلك التي دفعها البحرينيُّون غالياً خلال العقود الماضية. وهذه النهايات، تكمن في سياسات التحوّل الاداري والاقتصادي، نحو مشاريع الخصخصة، التي تهاجم المكتسبات البحرينية والمصالح العامّة. ونصل هنا الآن إلى سؤال المصير، الذي نتوجه به إلى جميع البحرينيين: متى ستبدأ المصلحة البحرينية في ثقافتنا وحياتنا..؟!
الأسئلة الواضحة، هي وحدها اليوم، التي تكفل للبحرينيين الوصول إلى طريق الاستقرار المنشود، في الادارة والسياسة والشؤون العامّة؛ ولا يوجد ما هو أكثر أهمية ومسؤولية من أسئلة المستقبل، من أجل الحاضر والغد الأفضل. هذه الأسئلة التي يصوغها الضمير والعقل، بل يصوغها احترام الحياة؛ من خلال مشاريع التنمية وقيم العدالة الاجتماعية، تلك التي تديرها السياسات الوطنية المخلصة، والمتمثلة في سياسات المصلحة البحرينية.
التراجع الكبير في المصلحة البحرينية، من قبل الوعي البحريني العام، سيؤدي بالمزيد من التكلفة والخسارة في حق هذا البلد العزيز. هذا البلد، الذي لا زال يعيش وفق حسابات الماضي، بدل أن يعيش حسابات المستقبل. هذه الحسابات المليئة بالتعصُّب والكراهية، على المستوى السياسي والديني، والعمل على اجترارها نحو الحاضر؛ لا يساهم بخير البحرين والبحرينيين أبداً، في معالجة الحاضر وبناء المستقبل. والسياسة الايجابية والحكيمة، هي وحدها التي تستطيع مقاربة ومعالجة هذه الأزمات العميقة والصعبة، والتي تحتاج اليوم إلى القرارات النبيلة والشجاعة، من أجل تمهيد الطريق إلى العهد الجديد، المليئ بالعدل والخير لجميع البحرينيين.
التاريخ اليوم لا يطالبنا بالذاكرة، بقدر ما يطالبنا بالحيادية والموضوعية، في معرفة التفاصيل والمراحل، والتمييز بين الأوهام والحقائق، تلك التي تبنيها الذاكرة التقليدية والجماعية، والتي يدركها المخلصون البحرينيُّون في التاريخ. وعنوان الاخلاص هنا، هو العدل والانسانية، الذي لا يعرف من المذاهب والجماعات سوى الانسان.
إن التحديات في البحرين، السياسية والاجتماعية والاقتصادية، تخبرنا في كل يوم وفي كل لحظة؛ عن ضرورة المضي والذهاب نحو طريق الخلاص من هذه الأزمات، وهو طريق المصلحة العامّة والخير العام.
المصلحة البحرينية أولاً، هي الغاية والمبدأ، لمسارات النهوض والارتقاء في حياة البحرين والبحرينيين. المصلحة البحرينية أولاً، هي الآمال الحقيقية لمشاريع الاصلاح المنشودة، في الانسان والمواطنة والدولة. المصلحة البحرينية أولاً، هي الرؤية الحكيمة والناضجة، التي ستحمل البحرين والبحرينيين نحو الغد الأفضل. وليس هنالك ما هو أعظم من الايمان بالذات، والاعتماد على الذات، من أجل تحقيق هذه البداية.

جليل عمران الحوري ومأساة موته

حميد الملا

كان ذلك هو أول ميت أراه. فحين كنت ورفاق آخرون في وقفة تضامنية مع المصرفيين في يوم الجمعة الموافق للرابع والعشرين من أبريل ٢٠١٠ ضد الفصل الذي طال العديد من المصرفيين والآخرين المهددين بالفصل في مختلف البنوك، وأثناء الهتافات المنادية بوقف تلك الإجراءات المجحفة والظالمة بحقهم، ما كان من جليل الحوري وهو القادم للتو من ألمانيا هو ورفيق دربه المناضل عباس عواجي الاّ وأن يأتي بالباص للمساهمة في تلك الوقفة التضامنية رغم عذاباته وثقل مرضه.

هذا النقابي الحقيقي العتيد وهو يعاني من مرض القلب، والمطلوب منه أن يرتاح بعد العملية التي أجريت له في المانيا لم يعبأ بكل ذلك، فجاء ليتضامن مع رفاقه العمال قرب المرفأ المالي، وأثناء ذلك كما لو أن حماساً مباغتاً قد بعث فيه روح الحياة وأيقظت فيه الحميّة العمالية المتأصلة فيه استيقاظاً، فأخذه الإندفاع وبدأ يصرخ بأعلى صوته وبتلك الحنجرة الملتهبة منفعلاً ليسقط أمامنا دون حراك ونـحن فاغرو الأفواه من وقع ما حدث غير مصدقين ذلك وما من أحد توقع حجم تلك المأساة ولا أحد تخيلها، فبتنا موزعين بين الخوف على حياته والأمل في نجاته.

كانت صرخة جليل في ذلك اليوم صلاة جنائزية بشحنة عاطفية مُروعة تُوجت بوفاته بتلك الصورة غير المتوقعة. الشئ الذي أتذكره بشئ من الدقة بأنه سقط وهوى كما لو كان شبحاً من العالم الآخر، وجه شاحب فقد كل ملامحه سريعاً، يدان قويتان قد تراخيتا وصوته الصادح قد انطفأ، العينان الجامدتان رائقتان تنظران إلينا بأسى كما لو أنهما تريانا.

أول ما خطر لي في جلال الحالة ماذا علينا أن نفعل، فبتنا متيقين أنّ ما قام به جليل الحوري في ذلك اليوم من حماس وجدنا في ذلك الهتاف شيئاً فوق طاقته لابد وأن يؤدي به إلى التعب لا محالة ونـحن الذين نعرف وضعه الصحي السئ والمتعب جداً. فجأة اهتز شيء عميق فينا،غرقنا في صمت مهيب، حبسنا أنفاسنا خلال تلك الساعات التي بدت لنا طويلة، وما عاد ذاك الحشد يعرف ما عليه فعله وغرقنا في سلسلة من الاحتمالات والفرضيات كان أقساها احتمالية الموت.

يا إلهي إنّ هذا ليبدو كابوساً، إن تلك التراجيديا التي مرت عليّ شيء يستقر في وجداني وينحفر لا محالة في حياتي للأبد بفعل ما رأيته وعايشته عن قرب. منظر مُهيب ورهيب ومهول ومُبكي أن ترى رفيقاً لك يسقط أمامك وأنت لا تستطيع أن تقدّم له يد العون والمساعدة.

كان جسده ممداً دون حراك على الأرض والكل في حالة خوف وذهول وصدمة ممزقي القلوب والأفئدة مذعورين نود أن نصرخ لكنّ صرخاتنا بقيت في حناجرنا ولم تخرج بفعل الصدمة .

أذكر ذلك اليوم بكامل تفاصيله. كان يرتدي قميصاً أبيض وبنطلوناً عادياً أقرب إلى السواد وفي يده منديل يحتفظ به لتجفيف عرقه مع عصاة يتكأ عليها وقت الشدّة. انتابني شعور منذ أن تذكرت تلك الحادثة بأن عالماً كاملاً كان نائماً واستيقظ في ذاكرتي بقوة وبشكل فجائي.

جليل الحوري عامل ومناضل جسور وصلب وشرس عرك السجون بسبب مواقفه المبدئية في الدفاع عن الطبقة العاملة، قضى حوالي خمسين عاماً في معترك العمل السياسي والنقابي من عمره الذي ناهز 68 عاماً. هناك في ذلك المكان المشؤوم أمام المرفأ المالي ممثلا في أباطرة المآل والأعمال وقف العمال قبالته وحناجرهم تصدح بالشعارات والأهازيج آملين أن يسمع صوتهم من في ذلك المبنى الشاهق، وقف جليل رابط الجأش شامخاً يشجعهم وبحماسة تفوق التصوّر، قفز صوته إلى مدى غير منظور وصل لعنان السماء، زلزل من في المرفأ فكان صداه يتردد في أقبية مكاتبهم الوثيرة.

لم يتخل جليل الحوري ولم يتخلف يوماً في حياته عن أي إضراب أو مسيرة أو اجتماع يخص العمال الاّ لأسباب قاهرة، فكان نموذجاً لا يتكرر من المناضلين العمال المميزين النادرين الذين قلّ مثيلهم. فطينة من طينة أبي منير معجونة من حبّ لا مثيل له للعمال والكادحين، فقد سقط شهيداً دفاعاً عنهم بكل إباء وشجاعة ومروءة ودفع ثمن ذلك حياته وهي أغلى شيء لدى الإنسان.

لقد كان يعرف بأن قيمة الإنسان كامنة في شيء واحد فقط وهو أن يعيش ويموت بشجاعة دون التنازل بقبول أي جزاء من أحد، وسلك طريقاً أحبّه حتى الموت فجسد ذلك عملياً بصمت وصبر وثقة وحبّ وقد قرّ قراره على المضي قدمًا حتى النهاية رغم ما يعانيه من أمراض فعاش ومات متمسكاً بالمبدأ ذاته ألا وهو العمل مع العمال والموت في وسطهم ومن أجلهم وهذه كانت امنيته ويا للقدر فقد تحققت كما أراد .

لاحقتني تلك الرؤية لجليل وهو يلفظ آخر أنفاسه سنوات كثيرة من حياتي مثل حلم مجهول وخيالي يطل عليّ بين الحين والآخر بوجهه الضارب للحمرة وصوته الجهوري النابع من صميم قلبه المجروح والمُتعب والمملوء هماً وغضباً وأسى. إنه بالنسبة اليّ اليوم الذي لا يُنسى.

لم أع في الحقيقة مأساة موت جليل الحوري الاّ وأتذكر جحود موظفي تلك البنوك المهددين بالفصل الذين لم نر منهم أحدًا في تلك الوقفة التي حُشد لها للتضامن معهم ومن أجلهم. أشعر بعد كل تلك السنيين بخيبة الأمل وبالخسارة على رفيق فقد حياته وفي قلبه غصة وغبن وحزن وألم لعمال تنازعوا وفشلوا وذهبت ريحهم.

الموت الأسطوري لجليل الحوري بقي في ذاكرة الجميع، وكأنه وداع لمرحلة ذهبية من العمل النقابي الحقيقي البعيد عن الطائفية والمصالح الأنانية الضيقة والتي ما عاد للعمال صوت قوي يجابهون به الشركات والمؤسسات التي تمتص عرق جبينهم بنهم دون هوادة بفعل تفرقهم وشرذمتهم والتمسك بالمناصب على حساب الدفاع عن منتسبيهم التي تهضم وتقضم حقوقهم يوم عن يوم. إن أيّ حلمً بتغيير عميق لواقع الحركة العمالية، مات جليل لأجله قد تبخّر للأسف الشديد بفعل وجود قيادات عمالية تتخبط في مستنقع الطائفية البغيضة.

سيظل جليل في قلوب العمال للأبد شعلة للنضال والتضامن العمالي من أجل طبقة عاملة موحدة تصدح بصوت واحد في مواجهة الظلم والطغيان والاستغلال الطبقي، وستبقى حادثة موته شاخصة إلى الأبد لعامل استرخص موته دفاعاً عنهم ومن أجلهم، ولاقى مصيره المأساوي بكل شجاعة.

جانب من الحضور

عشيّة الثّامن من مارس يوم المرأة العالمي

منتدى التقدمي السنوي يناقش قضايا المرأة والحركة النسائية في مجتمعات الخليج العربي

عقد المنبر التقدمي، وسط حضور كبير من ناشطين ومهتمين بالشأن العام وشخصيات وطنية وثقافية، وبمشاركة ضيوف من دولة الكويت وسلطنة عمان ودولة الإمارات منتداه الفكري السنوي التاسع، في السابع عشر من فبراير/ شباط الماضي.
وناقش المنتدى في هذه الدورة «قضايا المرأة والحركة النسائية في مجتمعات الخليج العربي»، حيث قدّمت فيه أربع أوراق مهمة لكل من الباحثات: فوزية مطر من البحرين، د. شوق المطيري من الكويت، أمل السعيدي من عُمان، صالحة عبيد حسن من الإمارات، حول قضايا المرأة في بلدانهن وفي المنطقة عامة.

فوزية مطر

الأمين العام: أهمية تغيير الصورة النمطية للمرأة

افتتح المنتدى الذي أقيم في قاعة جلجامش بفندق "جولدن توليب" بكلمة الامين العام للتقدمي الرفيق عادل المتروك، الذي أشار إلى حرص "التقدمي" على ألا تتوقف دورات المنتدى حتى في ظروف جائحة كورونا، «مع أننا اضطررنا لتحريك موعده قليلاً في العامين الماضيين، التزاماً بشروط الإغلاق التي اقتضتها ظروف الجائحة، وها نحن نعود، في هذه السنة، إلى موعده المعتمد في منتصف فبراير من كل عام تزامناً مع الذكرى السنوية لتأسيس جهة التحرير الوطني حيث مرّ قبل يومين ثمانية وستون عاماً على تأسيسها في العام 1955، كتيار وطني وتقدمي رائد في وطننا العزيز».

وأكّد الأمين العام إيمان التقدمي بأن «تصعيد نضال المرأة في سبيل القضاء على التمييز ونيل حقوقها المادية والمعنوية، يقتضي العمل على تغيير الصورة النمطية عن المرأة، في الثقافة والوعي واسلوب المقاربة لإيجاد الحلول»، «ما يتطلب رؤية منهجية ومنظومة قانونية، تسعى ليس فقط للحلول الشكلية مثل فرض المساواة بصورتها السطحية بوضع المشرع لمنظومة قوانين ونصوص تتحدث عن الحقوق المتساوية بين الجنسين، سعياً لتحسين الصورة الإعلامية والتصنيفات في المراكز الدولية، إنما هي عملية تنموية شاملة لكل مناحي الحياة المدنية والسياسية والاجتماعية بكافة صورها العمرانية والثقافية، وتوفير كافة الضمانات ما امكن لديمومة تنميتها وتطورها المستمرين وبالأخص في مجالات التعليم والصحة وغيرها، فالحلول الترقيعية والجزئية غير كافية لأحداث تغيير جذري مستدام في النظرة العامة النمطية عن المرأة.

فوزية مطر: التحديات الماثلة أمام المرأة البحرينية

الباحثة البحرينية فوزية مطر تناولت في ورقتها القضايا والتحديات الماثلة أمام المرأة البحرينية في الألفية الثالثة، مشيرة إلى أنه برغم ما حققته المرأة البحرينية من نهوض وتقدم في المرحلة الراهنة وما قبلها، فهي لم تزل تواجه عدة تحديات ومعوقات تسعى الحركة النسائية لتجاوزها، ونستعرض فيما يلي أهم التحديات وسبل التغلب عليها.

أمل السعيدي

صالحة عبيد

شوق المطيري

أحمد الديين

- فوزية مطر: أهمية تكثيف جهود منظمات العمل النسائي في التوعية المجتمعية والنسائية
- أمل السعيدي: تعدّ قضية العنف ضد المرأة أساسية في خطاب النسويات العُمانيات

على مدى النصف الثاني من القرن العشرين، ثم وخلال الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، قطعت أعداد متزايدة من فئات المرأة البحرينية أشواطاً بعيدة في مجالات التعليم والوعي والعمل والمشاركة في البناء المجتمعي، سواءً بدعم رسمي أو بجهد أهلي ملموس. رغم ذلك نقول إنه وحتى اليوم لم تبلغ فئات غير قليلة مجتمعياً، أسرياً ونسائياً ما يكفي من وعي بكيان المرأة الانساني وبحقوقها المشروعة. وهو – بتقديرنا – التحدي الأكبر.

لم يزل الطابع الذكوري للمجتمع يهيمن على الوعي الأسري العام وعلى العلاقات الأسرية، لم تزل أساليب التربية في العموم تكرس أنماطاً من المكانة الدونية للمرأة. لم تزل الغلبة للعقلية النمطية واستمرار الثقافة التي تجيز تهميش وتعنيف المرأة. ولا تزال فئات من النساء مهما بلغت من مستوى تعليمي وموقع عمل أو تبوأت منصباً متقدماً ينقصها الوعي بحقوقها. كما لا تزال عديد النساء الواعيات بحقوقهن الإنسانية غير قادرات على ممارسة تلك الحقوق وعلى العيش متمتعات بها.

بل يحق القول هنا إن اتساع تعليم المرأة ونمو وعيها وتنامي أعداد المرأة العاملة وبالتالي اتساع مساهمة دخلها في القيام بشئون الأسرة البحرينية في الوقت الحاضر، قد وضع تلقائيا وتدريجياً على كاهل المرأة تدبير كافة متطلبات الحياة الأسرية، بحيث وصل الأمر إلى تحول أدوار عائلية كان يقوم بها الرجل لتقع على كاهل المرأة كالاضطلاع بتربية الأبناء والمتابعة الكاملة لتعليمهم وكافة شئونهم الدراسية، وفوق ذلك تحمل مجمل شئون الحياة المنزلية بما فيها التبضع وصيانة وتسديد فواتير وإنجاز معاملات مطلوبة مع الجهات الرسمية والخاصة، وغيرها. في العموم تحرر الرجل من تلك المهام وغدا بعيداً عن تربية الأبناء وشئون الحياة الأسرية إلا فيما ندر.

وبعد أن انطلقت المرأة البحرينية ومنذ الستينيات الفائتة تطرق أبواب عمل جديدة بجانب التعليم والتمريض فالتحقت بالعمل في البنوك والشركات ومجالات المحاماة والهندسة

باقر النجار

والصحافة وغيرها، نجد اليوم ونحن في مطلع العقد الثالث من القرن الحادي والعشرين من الرجال من يرفض الزواج بامرأة تعمل في مجال مختلط ويبحث عن الزوجة التي تعمل في مجال غير مختلط. وهناك حالات منع فيها الزوج زوجته التي كانت تعمل في مجال مختلط من العمل وأجلسها في البيت.

من جانب آخر نجد الرجل المثقف ذي الوعي بالحقوق الإنسانية المساوية بين البشر يستسهل في الغالب حياة أسرية قوامها عدم المساواة بين الجنسين وإلقاء العبء الأكبر في المسئوليات الأسرية إن لم نقل العبء كاملاً على كاهل المرأة، ويحمل البعض عقلية وضع المرأة في موقع ثان أو تابع للرجل.

ومنذ أوائل الثمانينيات الفائتة يشهد مجتمعنا وكافة المجتمعات العربية عودة سطوة الموروث الثقافي التقليدي فيما سمي بالصحوة الدينية. في ظل ذلك أحاطت فئات من النساء نفسها بسياج من الممنوعات فكراً وعيشاً وممارسة حياة، وسحبت ذلك السياج ليحيط بأبنائها وسبل تربيتهم. وفي حين تتلاحق الإنجازات العلمية وتُقترح أنماط جديدة في الوعي والحياة عبر كافة تقنيات التواصل يقع الأبناء رهن التناقض

هدى المحمود

والضياع بين ما يطرحه العصر المتقدم من آفاق واسعة في الوعي والاختيار وبين هيمنة سياج الممنوعات مما قد يسبب للأبناء أمراضاً نفسية متعددة تهدد حياتهم.

يسيء قطاع واسع من النساء من كل الفئات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي الالكترونية بالاقتصار في توظيفها على ملاحقة آخر تقليعات الموضة والمكياج ومتابعة المشاهير، أو تتبع أخبار الناس والقيل والقال والنميمة، أو في الدردشات الفارغة بحيث انتقلت جلسات الضحى النسائية القديمة إلى الفضاء الالكتروني، وذلك على حساب توظيفها في الاغتناء المعلوماتي والثقافي والعلمي.

ورغم ما حققته فئات المرأة البحرينية على صعيد العلم والعمل فالكثيرات من ذوات التعليم العالي والعمل في مناصب مرموقة يقصين أنفسهن عما يمور في المجتمع من قضايا الشأن العام والتنمية المجتمعية والحقوق الإنسانية وكأن الأمور تعني الرجل فقط ولا تعنيهن.

أمام واقع كهذا تبرز أهمية تكثيف منظمات العمل النسائي الأهلي جهودها في برامج التوعية المجتمعية والأسرية والنسائية

صالحة عبيد: استقلالية المرأة الخليجية وحضورها في الفضاء العام مرتبطان بأدوارها التاريخية

شوق المطيري: أعراف الوصاية الذكورية على المرأة هي أشبه بقوانين غير مكتوبة لها نفس القوة

والعودة لوضعها ضمن أولوياتها – كما كان في السبعينيات والثمانينيات الفائتة – وتوظيف كل المتاح من وسائل لتحقيق ذلك.

أمل السعيدي: توثيق الحركة النسائية المعاصرة في سلطنة عُمان

انشغال الكتابات التاريخية على تتبع سير الحكّام والنخب الحاكمة، انطلاقاً من مركز السلطة، ليس شأناً خليجياً فقط، بل أقرب إلى ما يكون إلى قاعدة قديمة في الكتابة التاريخية، كل الكتابات التاريخية في مختلف أرجاء العالم كانت تلخص تاريخ الشعوب في تاريخ السلالات الحاكمة، وأحياناً التاريخ الديني للكنيسة ورجالها، وما دون ذلك من مواضيع كانت بقايا غير مجدية.

والمشكلة الأساسية في هذا النمط من الدراسات هي أنه لا يُحقق كتابة تاريخ كلي، أو يسمح بظهور صورة حقيقية عن شكل الحياة الاجتماعية في الفترة موضع الدراسة، فالمقاربة الأدق لدراسة الظواهر الاجتماعية تكون البحث عن جذورها في "الهامش" لا المركز، حيث تتشكل التقاليد والعادات للجماعة وتشكّل هويتهم.

نبحث مثلاً في أحد محركات البحث الأكاديمية بكلمات مفتاحية من قبيل (المرأة، عُمان) نجد أن عناوين الدراسات: "مأسسة النوع الاجتماعي في عُمان"، "دور وسائل الإعلام العُمانية في تشكيل اتجاهات الجمهور نحو قضايا المرأة"، "النهوض بالمرأة في سلطنة عُمان"، "تجربة عُمان في محو أمية المرأة".

ومشكلة هذه الدراسات أنها جميعاً لا تنطلق من المرأة، بل في كثير من الأوقات لا تلتفت إليها، قدر اهتمامها بما تمنحه الدولة أو الحكومة للمرأة، كيف تُعلمها، وتحقق العدالة على أساس النوع الاجتماعي، فلم أجد ورقة واحدة عن أي حراك نسوي في عُمان، أو ورقة تبحث في أوضاع المرأة بعيداً عن ذلك.

أصبحت النسوية في سلطنة عُمان في السنوات الأخيرة موضوعاً جدلياً كبيراً، ولقد بدأ هذا المشروع لا من النخب، بل من الهامش. اذ قامت مجموعة من الفتيات عبر حسابات التواصل الاجتماعي، تحديداً "تويتر"، بإثارة موضوع "النسوية" وقضاياها المختلفة، الأمر الذي دفع النخب في وقت لاحق لتبني الموضوع إيجاباً أو سلباً.

وتركز العديد من الدراسات في العلوم الإنسانية على شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في إشراك الناس في العملية الديمقراطية. اذ تمثل مواقع هذه الشبكات منصات تعتمد عليها الحركات المدنية والسياسية. وتهدف في المقام الأول إلى تعزيز دور النقاش السياسي وتحفيز المواطنين.

تعدّ وسائل التواصل الاجتماعي بهذا الصدد ظاهرة اضفاء الطابع الديمقراطي على المحتوى وستكون هذه الوسائل هي طريق النجاح في مجال الأعمال التجارية أو الحوكمة أو الأحزاب السياسية أو السياسيين، وذلك ليس ضمن نشر المعلومات فحسب، وإنما تسهيل عملية المشاركة والتشجيع عليها.

وعُمان ليست استثناء فمع الاستخدام الشائع لوسائل التواصل الاجتماعي ظهرت نسخ جديدة من التصورات والرؤى

عباس هلال

الاجتماعية غالباً ما كانت مختلفة عن الواقع الذي يُعرف به التسلسل الهرمي للسلطة داخل المجتمع العُماني عبر تويتر وفيسبوك وانستغرام، – وقد أدى هذا إلى توليد حالة النقاش التي عادة ما تثيرها وسائل التواصل الاجتماعي كما سبق وأشرت أعلاه – تمظهر ذلك في ولادة صراعات رقمية عبر الانترنت بين معسكرين افتراضيين الأول: المحافظون والثاني المدافعون عن حقوق المرأة. تناقش هذه الحسابات سلطة الرجل وهمينته كما تشكك في التفسير الأبوي لمصادر الدين الإسلامي التي تطورت لأحكام تمييز بين الجنسين.

وبتتبع ما نشر على مواقع التواصل الاجتماعي، وما توفر من معطيات يمكن أن نلاحظ الآتي:

* هنالك وعي لدى القائمات على حساب نسويات عُمانيات بأن مشكلة حقوق المرأة في عُمان سياسية ويتضح ذلك من استمرار المطالبة بالنظر في أحوال قوانين المرأة ووجودها داخل مؤسسات الدولة المختلفة.

* تعدّ قضية العنف ضد المرأة أساسية في خطاب النسويات العُمانيات، فهي قضية تحظى بتوجيه كبير في التغريدات. والجدير بالذكر أن مطالبات عديدة أنشئت في وقت لاحق للمطالبة بخط ساخن للمعنفات، تمخض عنه حملة إعلامية مستقلة بعنوان «لا تسكتي» تألفت من مجموعة من النساء العُمانيات والأخصائيين النفسيين والاجتماعيين وصل عدد متابعي الحساب في انستغرام لما يزيد عن 7000 متابع وقد أعلن الحساب عن لقاءات مرتبة بين عضوات الحملة ووزارة التنمية الاجتماعية المعنية حول الأمر.

* هنالك إدراك للنسوية التقاطعية التي تنطلق من مواقع مختلفة داخل المجتمع، فهنالك حضور للعاملات المنزليات ومعاناتهن الشخصية والمؤسسية في السلطنة.

شوق المطيري: أبرز قضايا المرأة الكويتية

على الرغم من أن الطابع الأبرز الذي يطغى على مطالبات المرأة الكويتية على مدى السنوات السابقة كان سياسيًا ويركز في

منى فضل

المرتبة الأولى على حق المرأة السياسي في التصويت والترشح، إلا أن قضايا المراة الكويتية وهمومها كثيرة وتتعلق بجميع جوانب الحياة، الاجتماعية منها والاقتصادية وحتى القانونية، يمكننا القول أن المرأة في الكويت هي ضحية للمجتمع والدولة والقانون، ففي حين تعتقد المرأة أنها على قدر متساوٍ من المواطنة مع الرجل بناء على الدستور الذي أوضح ذلك فيً العديد من مواده ولعل أبرزها المادة 29 التي تنص بشكل صريح وواضح على أن "الناس سواسية في الكرامة الإنسانية وهم متساوون لدى القانون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين" إلا أنها تجد نفسها مواطنة من درجة أدنى في العديد من القوانين والمعاملات اليومية.

على سبيل المثال: المادة الثانية من قانون الجنسية التي تحرم المواطنة من تمرير جنسيتها لأبنائها إسوة بالمواطن الرجل، حيث لا يحصل أبناء الكويتية على جنسية والدتهم، ولا على ارثها في حالة امتلاكها عقارًا عند وفاتها، ويكون بقاؤهم في البلد مرتبطًا بتجديد إقامتهم، ولعل ذلك أبرز ما يؤرق المواطنة الكويتية المتزوجة من غير كويتي، وهذا ما يجعل المرأة الكويتية مقيدة بخياراتها فيما يتعلق باختيار شريك الحياة، وعليها التنازل عن بعض الحقوق على عكس الرجل الكويتي الذي باستطاعته تمرير جنسيته لأبنائه وزوجته في حال زواجه من غير كويتية.

من ناحية أخرى وعلى فرض تساوي المرأة والرجل أمام القانون بشكل مجرد، نجد أن المرأة الكويتية لا أهلية لها في بعض المواد في قوانين مثل قانون الجزاء، وقانون الأحوال الشخصية، إذ أن قانون الجزاء الكويتي في مادته 182 يسقط عقوبة خاطف المرأة في حال زواجه منها زواجًا شرعيًا بشرط موافقة وليها متجاهلاً وضع المرأة النفسي ورغبتها الشخصية نازعًا عنها أهليتها وحقها في الموافقة على هذا الارتباط من عدمه، أما في المادة 153 من قانون الجزاء التي تعاقب الرجل مدة لا تتجاوز السنتين في حال قتله لزوجته أو ابنته أو أمه أو أخته إذا

ما فاجئها في حال تلبسها بالزنا، المادة التي تنافي الدين والمنطق ولا تتماشى مع الزمان والمكان إذ أنها مستندة على فكرة متخلفة في الأساس تعطي اعتبارًا غير مبرر لمشاعر الرجل وغضبه على حساب أمن وحياة المرأة.

أما عندما يكون الحديث عن قانون الأحوال الشخصية تجد المرأة نفسها في حيرة من أمرها فهل هي مواطنة كاملة الأهلية القانونية في نظر الدولة ومؤسساتها أم أنها تابع لرجل ولي عليها؟ فعلى سبيل المثال المرأة التي وصلت للوزارة و القضاء في الكويت لا تستطيع تزويج نفسها من غير موافقة وليها ولا تحصل على الوصاية على أبنائها في حال وفاة زوجها.

ليست القوانين والتشريعات فقط من يظلم المرأة في بعض الأحيان، إنما النظرة المجتمعية الدونية للمرأة، التي تعطي الحق للرجل في الهيمنة والوصاية عليها والأعراف السائدة ذات الطابع الذكوري التي هي أشبه بقوانين غير مكتوبة لها ذات القوة والأثر في ظلم المرأة والتضييق عليها في شتى مجالات الحياة، وتعاني كل امرأة منها باختلاف طبقتها وانتمائها الاجتماعي، هذه الأعراف هي التي تمنع المرأة من التمتع بولاية صحية كاملة على جسدها وهي من تمنع المرأة المطلقة أو الأرملة من إيجاد سكن مناسب، إذ أن المجتمع لا يعتبرها هي وأبناءها أسرة بدون رجل، وهي التي تسلب حق المرأة في حال تقدمها ببلاغ ضد عنف مما يجعل المطالبة بحقوق سياسية وقانونية ترفًا مقابل أمننا والحفاظ على حياتنا كنساء.

ومع أن الكويت طرف في العديد من المعاهدات الدولية لحقوق الإنسان إلا أن في الكويت ما يقارب 200 ألف شخص من الكويتيين البدون يعيشون على هامش الحياة دون أدنى حقوق وبالأخص النساء منهن اللاتي يعانين من ظلم مضاعف كونهن نساء وبدون، ويتجلى التمييز بينهن في الرواتب وإجازات الوضع والأمومة مقارنة بالمواطنة الكويتية وهذا ما ينطبق على المرأة العاملة الوافدة في الكويت.

صالحة عبيد: الأدب والحركة النسائية في الخليج

شدني هنا أن حقبة الثمانينيات الميلادية في العالم شكلت ما بعد ارتدادات الموجة النسوية الثانية التي راوحت بين ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، ولعل أبرز ما كانت تلك الموجة النسوية تركز عليه في آنها هو فكرة انعتاق المرأة من الجسد الجمعي الاجتماعي المرسوم لها والمقولبة فيه إلى حرية الجسد الذاتي الخاص، التي يتوجب عليها وحدها أن تعبر عنه كما ترى وتختار مصيرها من خلاله كما ترغب، وهنا قد نلاحظ بذرة التداخل بين الإبداع النسائي بشكل عام والقضايا النسوية بشكل أكثر خصوصية، فالإبداع بالنسبة للمرأة على اختلاف أشكاله من (رسم وتصوير وأدب) شكل شارعاً موازياً تعبر فيه باعتبارها امرأة عن صرختها الخاصة، بجرأة أكبر، ولعل التجارب الخليجية الأولى في مرصد السرد الخليجي عبرت عن ذلك بشكل ما وإن بدأ مواربا في محاولة لتجنب الصدام المجتمعي كما هي في تجارب الخمسينيات والستينيات والسبعينيات مع تجارب من مثل «سميرة خاشقجي» و «دلال خليفة» و «فاطمة يوسف العلي» اللواتي يتقاطعن مع عفيفة كرم في اختيارهن للقضايا الكبرى كموضوع سردي لتبطين الهم النسوي الخاص، لتأتي الثمانينيات المتفجرة، التي داخلت بين النسائي والنسوي بشكل أكثر تعقيداً، وليصبح الجسد النسوي بكل ما يعتمل فيه من أفكار وتعقيدات، مساحة للتعبير المتفجر عن القضايا النسوية الملحة.

إذاً فالمرأة الخليجية بدءاً من الثمانينات وما بعدها تتلمس صوتها الخاص وقضيتها الأولى بقوة الخارج من قوالب القضايا إلى ثورة الجسد والصوت الخاص، غير مبالية بالتصنيفات، نسوي، نسائي، لكن يبقى السؤال المشرع من تلك الفترة حتى يومنا هذا: هل لامس ذلك القالب التعبيري المتمثل في الرواية كصرخة للقضية، المرأة الخليجية في المجتمع اليومي، العام؟ وهل استطاعت من خلال ما تكتب أن تخلق فضاءات لحرية الفكرة والجسد؟

في حقيقة الأمر تبقى الإجابة عن هذا السؤال شائكة لأننا دائما سنلاحظ مقاومة اجتماعية لحضور المرأة الجديد في الفضاء العام.. أليس كذلك؟

إذ أنني أرى أن الاستقلالية للمرأة العربية، الخليجية على وجه الخصوص، وحضورها في الفضاء العام لا زالت غير منفصلة عن أدوارها التاريخية، وكيف أن الحديث عن استقلالية هذه المرأة وحرية تحركها، لا زال يرزح بشكل أو بآخر تحت ثقل الجسد لا باعتباره مساحة للتعبير عن التحرر بل باعتباره قيد للعودة دائما إلى الدور التاريخي التقليدي للمرأة ما أن بدأت المجتمعات الزراعية.

في الإمارات شكّلت الثمانينيات الميلادية سنوات الطفرة الاجتماعية الكبرى التي تداخلت مع الطفرة النفطية التي شهدت آثارها كل دول الخليج، لكن في الإمارات جاءت الثمانينيات لترسخ من صوت الإنسان الإماراتي صاحب الهوية الخاصة في هذا الكيان الجديد الناشىء. لقد بدأت قضاياه تتشكل، حيرته الخاصه والمخاوف إلى جانب النهضة الكبرى وتكريس مفهوم المواطنة وما يرتبط بها، ولعل أبرز ما عبر عنه في آن الإماراتي بشكل خاص مرتبط ومتصل بالجانبين، قلقه الإماراتي وقلق تأثير الطفرة النفطية هو المرتبط بالوجوه الغريبة التي راحت تتوافد لتفوقه في العدد، «التركيبة السكانية» التي راحت تكبر فجوتها، وأذكر من الأمثلة على ذلك رواية «سيح المهب» لناصر جبران.

أما بالنسبة للمرأة، فإنها في معضلة مركبة، داخل تلك المعضلة المتنامية، فهي هنا، تتلمس صوتها الخاص وسط زحامين، زحام الوجوه الغريبة وزحام الذكورة الإماراتية، ساندها في بعض الجوانب قوانين تمكين المرأة التي رسختها قوانين دولة الإمارات العربية المتحدة التي وعت مبكراً لأهمية وجود المرأة في الفضاء العام باعتباره ضرورة لا رفاهية نظراً للتعداد السكاني الذي تشكل فيه المرأة الإماراتية نسبة 48٪ تقريباً مقارنة بالرجل الإماراتي الذي يشغل المتبقي من النسبة، وهي حالة فريدة مقارنة بمواضع أخرى من الخليج.

المرأة البحرينية حضور كفاحي دائم

صباح العود

قدّمت المرأة البحرينية تضحيات كبيرةً في عقود من السنين، وبشكل خاص منذ افتتاح أول مدرسة للبنات في عام 1928، بالرغم من أنّ العديد من الأمهات لم يدخلنَ المدرسة، ومع هذا تمكّنّ من تربية أبنائهن تربية حسنة، وتخرج العديد من أبنائهن دكاترة ومهندسين ومعلمين وفي غيرها من المهن .واليوم المرأة البحرينية التي نالت قسطاً وافراً من التعليم، تتبوَّأ العديد من المراكز والمناصب في القطاعَين العام والخاص، وهي شريكةٌ مع زوجها في تربية الأطفال وتعليمهم أفضل تعليم.

فعندما نكتب عن المرأة البحرينية نتذكر مآثرها البطولية في التضحية والعطاء. فاليوم المرأة البحرينية متواجدة في كل مناحي الحياة في المجتمع جنباً إلى جنب مع الرجل، ونأمل أن يصدر قانون للأحوال الشخصية عصرياً موحداـ ينصف المرأة ويدافع عنها وعن حقوقها المشروعة ضد العنف والتمييز وأن تنال حقوقها أسوة بشقيقها الرجل.

مثلما كان للمرأة دورٌ في تربية الأطفال ولها قسط واسع من التعليم كانت لها مشاركات سياسية منذ منتصف القرن الماضي عندما شاركت في تظاهرات واحتجاجات هيئة الاتحاد الوطني التي قادت نضال شعبنا ضد المستعمر البريطاني والرجعية، كما برزت بشكل واضح في انتفاضة مارس المجيدة عام 1965، في التظاهرات وتوزيع المنشورات وفي تضميد جروح الجرحى .

كما كانت رائدة في تأسيس الجمعيات النسائية منذ عام 1955عندما تمّ تأسيس أول جمعية نسائية في تاريخ البحرين والخليج العربي (جمعية نهضة فتاة البحرين)، شاركت في الحركة الطلابية عندما انخرطت في فروع الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في البلدان العربية والأجنبية في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، وتعرضت للمنع من السفر والحرمان من مواصلة الدراسة ،كذلك كان للعديد منهن مشاركة في تنظيمات وأحزاب الحركة الوطنية البحرينية، وفي العديد من منظمات المجتمع المدني.

وأسّست الجمعياتُ النسائيةُ الاتحادَ النسائي البحريني ممثلاـ للمرأة البحرينية في الداخل والخارج، وشاركت المرأة في بداية تسعينيات القرن الماضي في حملة التواقيع على العريضتَين النخبوية والشعبية المطالبتَين بإعادة الحياة النيابية وإشاعة الديمقراطية والمساواة، و لازالت المرأة البحرينية تواصل مسيرة العطاء والتضحية في العديد من الميادين.

شيئ من تجربتي في «بي بي سي»

في عدة دقائق توظفت مراسلة للقسم العربي بهيئة الاذاعة البريطانية بي بي سي. جاء المذيع الراحل سامي حداد ينشد مراسلا للمحطة العريقة، أديت اختباراً بسيطاً وسريعا أمامه في صيف عام ١٩٨٨ لاختبار اللغة والصوت، وفي اليوم الثاني أعددت تقريراً عن خطة شركة الاتصالات «بتلكو» للتطوير المستقبلي، وفي المساء ضبطت موجة الاذاعة ورحت أنتظر سماع التقرير عند الساعة السابعة مساء، هل يوجد صحفي ينتمي لصحافة متواضعة كصحافة الثمانينات لا يفرح لانضمامه لمحطة عالمية؟

عصمت الموسوي

أول كتيب ارشادي تتعلمه وتتدرب عليه في هذه المحطة بوصفك مراسلاً خارجياً هو كيفية التغطية الآمنة من بلدك وكيف تقي نفسك من الأخطار عبر الالتزام بالأطر والمعايير الإعلامية للصحافة الحرّة وأهمية تحري الدقة والمعلومة الصحيحة خصوصا في البيئات غير الصديقة للديموقراطية والمشاركة الشعبية، وقد مارست العمل في جو آمن ومريح نسبيا لعدة سنوات قبل اندلاع أحداث التسعينات وما تضمنته من عرائض واحتجاجات وعنف وقتل وحرائق وتفجيرات.

إن قصتي مع اذاعة لندن ذات اتصال وثيق باحداث التسعينات، فمن البداية اوردت المحطة في تقاريرها الأولى أن المطلب الأساسي للحركة هو العودة للبرلمان المنحل وتفعيل دستور 1973 المعطل استناداً إلى العرائض الشعبية التي أطلقها النشطاء السياسيون في البحرين بعد غزو الكويت وانطلاق أصوات ومبادرات عديدة في البحرين والخليج تطالب بالإصلاح السياسي واشراك الشعوب في اتخاذ القرار، وذلك قبل أن ينجرف الشارع إلى العنف لاحقا فأقع انا "المراسلة" بين مطرقة الحدث الصاخب وما يتطلبه من تقارير شمولية ومتوازنة وحذرة وبين سندان الرقابة الصارمة والإعلام الرسمي ذي البعد الواحد، وقد كانت اذاعة لندن مثلها مثل بقية وسائل الإعلام العالمية وقتها على تواصل مع المعارضة في الخارج والأهالي في الداخل وتستقي أخبارها من جميع المصادر.

أما الجانب الرسمي فبعد طول صمت ونكران ظهر للإعلام الداخلي والخارجي واصفا المحتجين بأنهم دعاة عنف وتخريب وفتنة وانقلاب على السلطة وليس دعاة ديموقراطية، وان وراء الحركة تدخلات خارجية، وان البحرين تنعم حالياً بالامان والاستقرار والتنمية الاقتصادية، وان مجالس الشيوخ مفتوحة للشعب، ولا تحتاج إلى البرلمان أو "البرطمان" كما كان يسمى لدى كتّاب السلطة.

القصة الخبرية المتعددة الأبعاد والآراء ظلت عصيّة وبعيدة المنال في صحافة وإعلام ما بعد حلّ البرلمان في 1975 في البحرين، فقد هيمن قانون أمن الدولة وأصبحت الصحافة مقيّدة ومحاصرة وتضيق ذرعاً بالرأي الآخر ضاربة بعرض الحائط معايير ومقاييس وأطر التغطية الإعلامية الصحيحة، وخضع جميع مراسلي المحطات والصحف الخارجية كل من موقعه – وانا من ضمنهم – لمضايقات ومساءلات وانذارات ما حملهم على التخلي عن وظائفهم طوعاً أو قسراً.

تقاضيت 20 جنيهاً استرلينياً عن كل تقرير، ثم كبر المبلغ مع توالي السنوات واصبح 40 جنيهاً. تعجب وزير الإعلام الراحل طارق المؤيد حين أخبرته بالمبلغ الذي أتقاضاه، وقال: هل يستاهل كل هذه الانذارات والاستدعاءات والتقريع الذي تتلقينه مني؟

قلت له: يستاهل إذا كنت تعمل في إذاعة بي بي سي .

حراك التسعينات الذي شهدته وغطيت أهم أحداثه تمت تغطيته بالكامل من قبل الإعلام الأمني وحده، وما على الصحف إلا نشر المانشيتات والقصص الخبرية القادمة من مصدر واحد، ولهذا فقد سعت وزارة الإعلام إلى ضّم المراسلين جمعيهم إلى دائرة الإعلام الحكومي، وحمله على تبني السردية الحكومية للحدث، في حين تم اعتبار المراسلين المستقلين صوتاً نشازاً ومزعجاً في هذه المعزوفة، فلم يتوفروا على المعلومات ولم يسمح لهم بحضور المؤتمرات الصحفية أو المحاكمات العسكرية المغلقة، بل إن مجرد الالتقاء بأهالي المحكومين اوالمتهمين او محامييهم تعدّه الحكومة عملاً عدائياً يستوجب العقاب.

تريد وزارة الإعلام تقارير أحادية الجانب ورسمية كالتي تبثها أجهزة الدولة من اذاعة وتلفزيون ووكالة أنباء وصحف شبه رسمية، أما الرأي الآخر فلا تعترف به في أعرافها وصحافتها تماماً كما يحدث الآن في صحافتنا الورقية وأجهزتنا الرسمية التي انصرف عنها الجمهور إلى الصحافة الرقمية والتي ارتضت جميعها تسويد صفحاتها بالمادة التحريرية الجاهزة التي تصلها من مركز الاتصال الوطني، وأقول إن محنة المراسل الخارجي تعرض لها كل المراسلين الذين عملوا في صحف ووكالات أنباء عالمية في ذلك الوقت ،حيث جرى اغلاق مكاتبهم بعد وأثناء أحداث التسعينات مثل مكاتب رويترز والألمانية والفرنسية والأسوشيتد برس، ولعلنا نذكر بهذه المناسبة زميلتنا اوتا مراسلة الالمانية التي جاءت الاوامر المفاجئة بإغلاق مكتبها وتسليم مفاتيح بيتها ما اضطرها لبيع اغراضها في 24 ساعة فقط لأنها بثت تقريراً اوردت فيه تصريحا لحركة احرار البحرين المعارضة في لندن.

في العام 1996 كانت البحرين تحتضن قمة مجلس التعاون

الخليجي، واستضافت عددا من مراسلي الصحف والإذاعات الأجانب، وفي صباح احد ايام القمة ترك مراسل اذاعة لندن الفندق حيث تجرى القمة واستقل تاكسيا وذهب إلى القرى لاجراء استطلاع حول الأحداث السياسية، وقبل أن يعود إلى الفندق وقبل أن يبث تقريره، كان أمر أمني قد صدر بطرده.

واحتفظ في ارشيفي برسالة بعثتها وزارة الخارجية البحرينية عام 1996 إلى السفير البريطاني في البحرين تشكو فيه من التغطية الاعلامية للقسم العربي بالاذاعة حول البحرين والتي تعتبرها غير دقيقة ومنحازة و»معادية " وجاء في رد «بي بي سي» إن المحطة تفتح أبوابها لسماع لكل الآراء على اختلافها وتتفاعل ايجابا مع النقد الموجه لها وتسعى لتصحيح أخطاءها وتقويم مسارها، وأشارت في ردها على الرسالة إلى عدة تقارير بثتها عن البحرين ذات طابع حيادي ومتوازن، لكن حكومة البحرين أو وزراة الاعلام حسب قولها هي التي ترفض المشاركة في البرامج والأخبار والتعليقات بأي رأي رسمي مما يتيح للمعارضة أخذ الحصة الأكبر في التغطية، كانت سياسة الحكومة في البداية تقوم على نكران وجود أزمة أساساً، ثم عندما اعترفت بوجودها لاحقاً كان الشارع قد اشتعل وخرج عن السيطرة فتم وسم الحركة بوصفها ارهابية انقلابية تخريبية مدعومة من الخارج.

خلال انتظاري في وزارة الاعلام لأخذ حصتي من التوبيخ والتقريع والتوجيه، كان هناك مراسلون آخرون غيري ينتظرون دورهم بعد أن اصبحت أحداث التسعينات مادة خصبة ومثيرة في الصحافة ووكالات الأنباء الأجنبية والعالمية والبرلمان الأوروبي والانجليزي ولدى المنظمات الحقوقية والعفو الدولية المنددة بالاعتقالات والمحاكمات العسكرية، أما إعلامنا المحلي فقد ظلّ مجرد متلق للتقارير الرسمية الامنية فقط، «شاهد ماشفاشً حاجة». تمّ احكام السيطرة في الداخل، لكن لم يستطع المرحوم طارق ولا من جاء بعده السيطرة على الإعلام الخارجي.

إذاعة لندن ناطقة باسم المصالح البريطانية والغربية لاشك في ذلك، بيد أن انحيازها لا يمنع ولم يمنع يوما من رفد التقارير والقصص الإخبارية والتحليلات السياسية بالرأي الآخر المخالف، فهذا هو المبدأ الأساسي والجوهري في الإعلام، وليس بإمكان أي وسيلة إعلامية حقيقية أن تحيد عنه.

وكانت تقاريري الحذرة المدروسة والمنتقاة بحرفية وعناية تتراوح بين رضا وزارة الاعلام مرة وغضب الجانب الشعبي مرة اخرى، فيوم يراها البعض تميل صوب الحكومة ويوم آخر يحدث العكس. إن كلمات مثل "حوار" أو "برلمان" أو "اصلاحات سياسية ودستورية " كانت شبه محظورة وممنوعة من التداول تماماً، ذلك أن الجانب السلمي في الأحداث تم طمسه تماماً، بينما تم ابراز عنف الشارع والحرائق والتفجيرات، ومع الوقت نسي الناس الأولى وتكرست الصورة الثانية.

وإذا علت موجة الاحتجاجات والتوتر اقترح على الإذاعة التزام الصمت مؤثرة السلامة على نفسي إلى أن تهدأ الموجة، وفي الغالب تلجأ الاذاعة إلى إجراء المقابلات مع النشطاء السياسيين ومع الناس ومع أهالي السجناء والمعتقلين وطلاب واكاديميي الجامعة والمحامين وزعماء الحركة وقادة العرائض الشعبية وغيرها، أو تبعث مراسلاً خاصاً كما حدث عام 1997 حين وصل إلى البلد صحفي من «بي بي سي» أجرى استطلاعا شاملا والتقى عناصر من الجانب الرسمي والمعارض وانجز فيلما تلفزيونيا بثته فضائية «بي بي سي» الناطقة بالعربية، في ذلك الوقت ولم يرق للحكومة.

في مطلع عام 1998 زار رئيس القسم العربي جيمون ماكليلين البحرين وتحدث إلى وزير الاعلام فأخبره الأخير ان تقارير مراسلتكم «عصمت الموسوي" لا تعجبنا ونقترح تعيين مراسل أو مراسلة اخرى وفق اختيارنا.

وقد تركت الاذاعة عام 1998 واختير الاعلامي الراحل محمد الشروقي خلفا لي ثم اعلامي آخر، وكلاهما كانا موظفين في وزارة الإعلام، فالتزما بالخط الرسمي في التغطية، وبدت المادة الإعلامية التي ينقلونها صورة طبق الاصل لما يبثه اعلام الحكومة، ولاحقا استعاضت المحطة عن فكرة المراسل المحلي فعينت صحفيا بريطانياً متفرغاً يقيم في دبي ويغطي أخبار منطقة الخليج ومن ضمنها البحرين .

أعتبر فترة عملي في «بي بي سي» من أصعب ما مررت به من تجارب وفي مرحلة سياسية حساسة وشديد التعقيد، وقد اجتهدت لنقل الأحداث بأمانة ملتزمة المعايير المهنية والحياد واحترام الرأي الآخر، وأنجزت إلى حد ما اختراقا في منظومة العتمة الإعلامية المحكمة في ذلك الوقت. أعتز بهذه التجربة وأتمنى أن يسعفني الوقت والحماس لتوثيقها في كتاب أشمل، فقد انطوت على العديد من القصص والمفارقات والتي لا يسعها هذا المقال الموجز.

ذاكرة الاذاعة

مَن منا في منجاة؟

ذاكرة أول أغنية عاطفية أسرت أفئدتنا الصغيرة التي كانت بالكاد تتفتح، يومذاك ذاكرة برنامج: ما يطلبه المستمعون، ذاكرة نشرة الأخبار من إذاعة الكويت، ذاكرة «صوت العرب» يوم كان للعرب صوت، ذاكرة خطب جمال عبدالناصر وأغاني أم كلثوم ومحمد عبدالوهاب وعبدالحليم حافظ وعوض الدوخي ومحمد بن فارس.

الأكبر سنا بيننا يتذكرون الراديو القديم على البطاريات الحجرية، في المسلسلات الخليجية القديمة يظهر عادة هذا النوع من الراديوهات، يبث الأغاني أو يذيع الأخبارعلى الجالسين يحتسون الشاي في المقاهي القديمة، قبل أن يأتينا الترانستور الذي يرافقنا حتى أسرة نومنا.

تنتسب الاذاعة الى زمن أكثر براءة من هذا، مليء بالوعود والآمال، كان الحرص فيه على التجويد والأناة علامة. ففي الاذاعات ثمة لجان من كبار الموسيقين والملحنين تجري اختبارات صارمة للمتقدمين للغناء، فلا تجيز سوى أولئك أو اللائي يملكون الأصوات الجميلة والاحساس الراقي، ولم يكن بوسع أغاني «الواوا» وما شاكلها أن تمر أو تذاع، كما هو حالنا اليوم، حيث باتت لجان التحكيم في المسابقات واختيار الأصوات تضم كل من هب ودب، خالية من الرصانة والجدية ودقة المعايير، ومجالاً للاستعراض المبتذل.

لكن الاذاعة زمان لم تكن الأغاني فحسب. فهي أدت في الكثير من المجتمعات ما يشبه الثورة على الجمود والتزمت، وأتت بالجديد من الأفكار والأخبار والتسلية الى العقول، التي لم تألف كل هذا من قبل.

لذا ليس غريباً أن نجد المنظمة العالمية المعنية بالثقافة، أي اليونسكو، تعتمد الثالث عشر من شباط/فبراير من كل عام يوماً عالمياً للاذاعة، وهو في الأصل إقتراح تقدمت الأكاديمية الإسبانية للإذاعة في عام 2011.

«اليونسكو» نوهت في أسباب تبنيها للاقتراح إلى أن الاذاعة استطاعت منذ البث الأول قبل ما يزيد عن مائة عام، ان تكون مصدر معلومات قوية لتعبئة التغيير الاجتماعي ونقطة مركزية لحياة المجتمع. ومن بين وسائل الإعلام التي تصل إلى الجمهور على أوسع نطاق في العالم.

كما أن الإذاعة موائمة بشكل خاص للوصول إلى الجماعات المحلية النائية والمهمشة، وتعرض على هذه الجماعات منصات لتبادل الأخبار والإعلام مع تعزيز الحوار العام، كما أنها إحدى الوسائل الأكثر توفيقا لتوسيع الوصول إلى المعارف، وتشجيع التفاهم ما بين الثقافات.

في عصر التقنيات الجديدة تظل مكانة الاذاعة مهمة، فهي لاتزال أداة اتصال قوية.

ح.م

التعليم بين العصرنة والتقليد

على الرغم بأن العالم من حولنا يتغير بسرعة كبيرة، ألا إن نظامنا التعليمي مازال محافظا على إرثه، وفي حين تتطور المدارس العالمية علميا وتربويا منذ عقود، ألا إن نظامنا التعليمي عبارة عن توليفة من الديناميكيات والمبادئ المحافظة.
وفي الواقع فإن أي دولة تسعى لأن تصبح رائدة علميا على مستوى العالم، لابد أن تضع تطوير نظامها التعليمي على قائمة الأولويات حيث إنه في منظور الاقتصاد العالمي أصبح التعليم منذ فترة طويلة –وبشكل مطرد– سلعة باهظة الثمن وذات قيمة كبيرة، ولا يتم تحديد التنمية المستدامة للبلدان من خلال مواردها الطبيعية بقدر ما يتحدد من خلال المستوى العام للتعليم في البلاد.

حسين الشويخ

ولقد أثرت في العقود الاخيرة تقنية المعلومات على التعليم، حيث طور الإنترنت التعليم ، وأثرت التغييرات على كل من طرائق التدريس، ومقاربات تنظيم العملية التعليمية. ويمر حاليا على المستوى العالمي نظام التعليم بمرحلة الاندماج مع فضاء المعلومات العالمي، فيتيح ذلك استخدام الطرائق الحديثة لدراسة المواد والتي أصبحت أكثر راحة وسهولة في الوصول إليها. وتعد الأجهزة التقنية كأجهزة الكمبيوتر، والهواتف الذكية، والأجهزة اللوحية وغيرها أساس عملية التحديث في نظام التعليم، وبالاستعانة بها يمكننا دراسة المواد بشكل نوعي من دون الالتحاق بالمدرسة او الجامعة بشكل يومي.

وعندما يتخرج الطالب من المدرسة ويلتحق بالجامعة يجب أن لا يخضع فقط لتدريب مهني ليتقن المهارات الصعبة، بل نعتقد أن المهارات الشخصية لا تقل أهمية عن المهارات المهنية وهذا هو السبب الذي يجعلنا نخصص الكثير من الوقت للأنشطة اللامنهجية، كما إن الملتحق بالجامعة لا يدرك دائمًا ما يريده بالضبط، ولديه رؤية معينة تشكلت تحت تأثير عوامل معينة، ربما خارجية، من هنا فإن التقنيات الحديثة في التعليم من الممكن اكساب المعرفة عن بعد ، إلى حد كبير وبوقت ومال أقل، حيث تساعد التقنيات الرقمية على اختيار مسار تعليمي لكل طالب، وتزيد من الموضوعية في التقييم وتقلل بشكل جذري من العبء الواقع على عاتق المعلمين.

لذا ما الذي يجب علينا القيام به؟

التحول إلى الاستخدام الجماعي للمجمعات التعليمية والمنهجية الرقمية الحديثة.

بالنسبة لأطفال المدارس، ستنشئ هذه المجمعات برامج فردية، وتختار أفضل الأساليب والصيغ لدراسة المواد لكل منها، وسيتم مساعدة المدرسين على ملء التقارير والمجلات والتحقق من دفاتر الملاحظات، أي أنهم سيوفرون وقت لاتباع نهج إبداعي.

إدخال الألعاب والمحاكاة في العملية التعليمية، وهي التي ستشرك الأطفال وتجعل التعلم مرئيًا وتساعد في تطوير مهارات القرن الحادي والعشرين: العمل الجماعي، والتفكير النقدي، والإبداع.

تطوير النظام التعلمي عن بعد والتعلم المدمج – عندما تدرس المواد في أي مكان ومدى ملائم – والحضور إلى الفصل لمتابعة الندوات والامتحانات. هذه هي الطريقة التي يتعلم بها الأطفال للمواد غير المتوفرة في المدرسة، ولا شك ان التعلم عن بعد يساعد على إتقان المواد بشكل أسرع.

إيجاد طرائق جديدة للتفاعل بين المعلم والطالب؛ عند اختيار مؤسسة تعليمية تحول التركيز إلى جودة التعليم، وليس القرب من مكان الإقامة.

لقد غير الإنترنت التعليم، وأثرت التغييرات على كل من طرائق التدريس ومقاربات تنظيم العملية التعليمية، حيث ساهمت تقنيات المعلومات الحديثة من إتاحة الوصول إلى المعرفة لجميع البشر تقريبًا في وقت قصير.

يمكن أن يؤدي توفر الإنترنت، وأجهزة الكمبيوتر، وطرائق التعلم إلى تحسين المستوى العام لمحو الأمية لدى السكان.

تأثير تكنولوجيا المعلومات على التعليم منذ عام 2020

ففي عام 2020، انتشر فيروس كورونا، COVID-19، بنشاط في جميع أنحاء العالم، وفرضت العديد من الدول قيودًا على الأحداث الجماهيرية، وحظرت زيارة الأماكن المزدحمة، فتم إدخال أشكال التعليم عن بعد في المدارس، والجامعات، والمنظمات الأخرى ، حيث سمحت التقنيات عن بعد في التعليم بالبقاء وتعزيز مكانتها؛ نتيجة المحظورات وخطر الإصابة بعدوى عند التواصل مع الناس ، وتحولت الكثير من الدول إلى الدراسة باستخدام الإنترنت.

وغيرت المدارس والجامعات ومراكز التعليم في وقت قصير طرائق التدريس، أو حسنت الدورات الحالية عن بعد، وتم تغيير برامج التعليم إلى تنسيق تفاعلي، حيث أصبح بالإمكان الحصول على المعلومات ليس فقط شخصيًا، ولكن أيضًا عبر الإنترنت.

وأتاح التعليم الإلكتروني تحسين مهارات الطلبة ، والخضوع لإعادة تدريب مهني وتدريب قصير الأجل على الوظيفة، و تمكّن الطلبة أيضًا من عدم التوقف عن دراستهم ، بل التكيف مع طرائق جديدة للحصول على المعلومات، كما أتاح التعلم الإلكتروني والدورات عن بعد تحسين مؤهلات ومستوى معرفة المتخصصين في مختلف مجالات النشاط، كما يستغرق وقتًا أقل للتحضير.

عيوب التقنيات الرقمية الجديدة:

على الرغم من الإيجابيات الكثيرة لتقنية التعليم عن بعد عن طرق الإنترنت ألا إن للتقنيات الرقمية عيوب منها:

عدم استعداد جميع المعلمين لتغيير طريقة العمل المعتادة إلى طريقة أكثر تقدمًا، ومن هنا يجب أن تطور أساليب التعلم الإلكتروني والتوصيل عن بعد الحاجة إلى المعرفة.، كما إن الاستخدام غير الكفؤ للتكنولوجيا الحديثة أدى إلى تشوه الإدراك.

التقييد الكامل للتواصل الحي عبر الإنترنت، والاعتماد على الموافقة الاجتماعية وعدم وجود فرصة للتحدث علانية – كل هذا يمكن أن يؤدي إلى عواقب سلبية لمثل هذا النظام– إذا لم يكن للتعليم الإلكتروني هيكل خاص به، ولكن تم تقديمه فقط كمكمل اختياري ، فستتأثر جودة التعليم.

مدى فعالية الدولة وجديتها وإمكانياتها ودورها في تطوير التعلم الإلكتروني، مما يحفز تطوير التقنيات الرقمية.

فوائد التقنيات الجديدة للتعليم:

قبل 20 عامًا فقط، كان بإمكان المرض إيقاف عملية التعلم – حيث لا يمكن لأي شخص استيعاب المواد عن طريق تخطي الدروس، ولكن الآن يمكن للطلبة الدراسة والتعلم حتى في إجازة مرضية، حيث تتمتع التقنيات البعيدة بعدد إضافي من المزايا منها:

– التدريب في مكان مناسب
– تحفيز التعليم الذاتي
– بحث سريع وسهل عن المعلومات
– تحسين المعرفة حول كيفية استخدام تكنولوجيا المعلومات، عدم اقتصار الوصول إلى المعلومات على أدبيات المؤسسة التعليمية لوحدها ازدياد المستوى الفكري والقدرة على التعلم الذاتي مع استخدام تقنيات الاتصالات ويساعد ذلك على تعلم الانضباط الذاتي والبحث عن المعلومات بشكل صحيح للعمل في المستقبل.

يساعد التعلم الإلكتروني والدورات عن بعد أعضاء هيئة التدريس الكبار على تعلم جديد وتغيير الطريقة التي يتعلمون بها نتيجة لذلك، ومن الممكن تحسين نظام التعليم ، والذي سيجمع بين المهارات العملية لمعلم متمرس والمعلومات النظرية الجديدة حول اتجاه النشاط.

يؤدي استخدام الكمبيوتر للتعرف على المادة إلى تطوير التفكير المجرد لهذا الغرض، حيث من الممكن استخدام مقاطع الفيديو والملفات الصوتية والعروض التقديمية وغير ذلك الكثير.

ما يجب القيام به؟

إعادة تدريب وتأهيل إدارة المؤسسات التعليمية في جميع مستويات التعليم.

تحفيز تطوير الأساليب والتقنيات الجديدة من خلال اعتماد المعلمين على التقنية الرقمية مما يضمن زيادة الأجور.

إعداد برامج تعليم المعلمين مع التركيز على الممارسة بالإضافة إلى دعم الدراسات العليا للمعلمين الشباب، مما ستساهم هذه التدابير ليس فقط في نمو النتائج التعليمية ، ولكن أيضًا في تحسين الرفاهية الاجتماعية والوضع الاجتماعي للمعلم.

وختاما فإنه نظرا لأن تقنيات المعلومات أصبحت أكثر سهولة في الوصول إليها، فقد يكون استخدامها مبررًا في المستقبل حتى للأطفال في سن ما قبل المدرسة، وعلى سبيل المثال حيث يمكن للمدرس استخدام السبورة التفاعلية ومقاطع الفيديو لعرض المواد بصريًا وما إلى ذلك و سيتمكن الطفل من التعود بسرعة على البيئة الرقمية للمستقبل، وعليه فإننا بحاجة إلى تغيير وإعادة بناء نظام التعليم لتلبية الاحتياجات الجديدة للاقتصاد.

احترموا تراث البحرين

جلال إبراهيم

إن التراث ثروة كبيرة من الآداب والقيم والعادات والتقاليد والمعارف الشعبية والثقافة المادية والفنون التشكيلية والموسيقية، وهو علم يدرس الآن في الكثير من الجامعات والمعاهد الأجنبية والعربية لذا فإن الاهتمام به من الأولويات الملحة.

ويُعتبر التراث جزءاً أساسياً من الهوية الوطنية؛ فهو تجسيد ماديّ ومعنويّ لها، حيث إنّه يتضمّن كلاً من الأماكن، والمعالم الرئيسية، والمباني، وما يرتبط بها من طرق عرض لمقتنياتها، وآراء، ووجهات نظر، وأساطير، وغيرها، كما أنّ التراث مهم في فهم تاريخ أيّ وطن من حيث سجل أحداثه التاريخية، وهويته، وشعبه، لذا تسعى الشعوب إلى الحفاظ عليه.

ويُعدّ التراث الثقافي رابطاً مشتركاً بين الأفراد، وتعبيراً عن انتمائهم للمجتمع، وتوضيحاً لفكرة وحدة المجتمع والتواصل بين أعضائه، وهو رابطة بين الشعب وماضيه، وحاضره، ومستقبله. كما يساهم التراث في تعزيز الاقتصاد وإنعاشهِ.

كانت البحرين موطنًا للحضارات القديمة مثل دلمون وتايلوس، وهي حضارات تعود للألفية الثالثة قبل الميلاد. على مدى عقود، سجلت العديد من الرحلات الاستكشافية وجود روابط مع الماضي الغني، ولا تزال هذه المواقع الأثرية تشكل جزءًا من التراث الفريد للمملكة. وتم إدراج موقعين بحرينيين هما "قلعة البحرين" و"طريق اللؤلؤ" على قائمة منظمة اليونسكو للتراث العالمي عامي 2005 و2012 على التوالي.

وتزخر البحرين بالعديد من المواقع السياحية والقلاع والمواقع الأثرية والتاريخية، والمعالم الحضارية الشاهدة على تاريخها وحضارتها، لذلك من المؤسف عندما تزور هذه المعالم يستقبلك موظفاً أجنبياً لا علاقة له بهذه الأرض تاريخاً وتراثاً وثقافةً، وكأن البحرينيين لا يوجد فيهم من هو مؤهل للقيام بهذه المهمة. جرب أن تزور قلعة البحرين في ضاحية السيف، أو مركز الشيخ إبراهيم في المحرق، أو قلعة الشيخ سلمان بن أحمد في الرفاع، أو بيت الجسرة، ستجد من يُعرّفك بهذه الأماكن التاريخية موظف أجنبي لا بحريني ولا حتى عربي.

لا بد من الإشارة إلى أن مملكة البحرين سنّت قانوناً خاصاً بالحفاظ على الآثار، لمكانتها التاريخية والوطنية، ولما لها من دور اقتصادي واجتماعي وثقافي، غير أن هذا القانون لا ينص في أي من بنودهِ على قصر المهن المرتبطة بالسياحة ومؤسساتها على البحرينين كما تفعل جميع الدول، وهذه ثغرة يجب سدها وإصلاحها.

أخيراً، لماذا لا يتم تعميم نموذج متحف البحرين الوطني على جميع الأماكن السياحية، بأن يكون جميع العاملين فيها من البحرينيين؟ أليس هم الأجدر والأحق باستقبال السياح وتعريفهم بمعالم البحرين التاريخية والتراثية؟ أليس ذلك سيوفر الكثير من فرص العمل للشباب البحريني؟ لذلك نقولها بصوتٍ عالٍ، احترموا هوية وتراث البحرين الغالية.

بصراحة

سوريا والحصار الإمبريالي

بعد حصار العراق لسنوات في تسعينيات القرن الماضي من قبل الإمبريالية الأمريكية فيما بعد عملت على إسقاط النظام في إبريل من عام ٢٠٠٣ واحتلال العراق وتدميره وتخريبه ونهب وسرقة خيراته وثرواته وخلق الفتن الطائفية والعرقية وبروز القوى التكفيرية والإرهابية تحت مسميات عدة وفي فترات لاحقة من الاحتلال الأمريكي استولت على العديد من المدن والمناطق العراقية كما حدث مع داعش في عام ٢٠١٤ عندما أقامت دولة الخلافة الإسلامية ثلاثة أعوام قبل دحرها من قبل الجيش العراقي والحشد الشعبي، واتّضح جلياً فيما بعد بأنها «ماركة أمريكية الصنع» جاء على لسان العديد من المسؤولين الأمريكيين، وبطبيعتها العدوانية الإمبريالية الأمريكية فهي لا تريد الاستقرار والأمن للمنطقة وهي التي أطلقت مقولة "الفوضى الخلاقة" في الشرق الأوسط من قبل وزيرة خارجيتها السابقة كوندليزا رايس في عام ٢٠٠٦، وتمّ تنفيذ الخطة من قبل المخابرات الأمريكية CIA وحلفائها في عام ٢٠١١ تحت دعاوى دعم ثورات "الربيع العربي" مستغلين رغبة الشعوب العربية في تغيير أنظمة الاستبداد والاضطهاد في البلدان العربية، ولكن الذي حدث غير ذلك تم تدمير العديد من البلدان العربية ليبيا، اليمن، وسوريا .

فاضل الحليبي

نتوقف أمام سوريا التي حشدت لها القوى الإمبريالية الآلاف من العناصر والمؤيدين للقوى التكفيرية والظلامية من البلدان العربية والعالم وصرفت على تلك الجماعات الإرهابية والحرب العدوانية في سوريا مليارات الدولارات، حسب تصريح مسؤول خليجي سابق. لقد دُمرت سوريا بالكامل وخُلقت فيها الفتن الطائفية والعرقية وتشرد السوريون في داخل سوريا وفي الخارج بالملايين، وبقت معاناة الشعب السوري.

كانت سوريا قبل عام 2011 تحتاج لمزيد من التغيير والإصلاح السياسي، لترسيخ القيم الديمقراطية والحريات العامة وحقوق الإنسان في المجتمع وهذه مطالب القوى الديمقراطية والتقدمية السورية، ولكن الذي حدث لا يمت بصلة لتلك المبادئ الإنسانية السامية، حيث تحوّل إلى تخريب وإرهاب برعاية أمريكية وأوروبية وصهيونية وبدعم من بعض الدول الخليجية والعربية، لم يكن هدفه الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والحريات العامة، بقدر ما كان يهدف لتدمير الدولة السورية وقيام نظام سياسي ينفذ الأجندة الأمريكية ويطبّع مع الكيان الصهيوني.

عندما عجزوا عن تنفيذ مخططاتهم التآمرية على سوريا، عملت الإمبريالية الأمريكية على إصدار "قانون قيصر" الجائر منذ سنوات لتفرض العقوبات القاسية على الشعب السوري لتزيد معاناته من سيئ إلى أسوأ، وبقيت الإمبريالية الأمريكية التي تحتل اليوم أجزاء كبيرة من سورية وتسرق نفطها تمارس عمل العصابات والبلطجة.

في ظل هذه الظروف الصعبة التي تعيشها سوريا حدث مالم يكون في الحسبان وهو الزلزال المدمر الذي ضرب الجنوب التركي والشمال السوري فجر يوم الاثنين السادس من شباط « فبراير « 2023 ، في واحدة من أسوأ الكوارث الطبيعية في العالم التي لم تحدث من عقود من السنين مخلفة وراءها الآلاف من القتلى والجرحى والمفقودين، والمشردين بالملايين في وضع مأساوي لا مثيل له في العصر الحالي، وعلى حسب أحد الناجين عبّر بقوله أنها «القيامة» نهاية الكون.

التعامل المختلف مع ضحايا الزلزال في تركيا وسوريا، يظهر مرة ثانية وجه الإمبريالية الأمريكية القبيح ومعها دول حلف الناتو عندما تسارع لتقديم الدعم والمساعدة لتركيا، وتحرم الشعب السوري من تلك المساعدة تحت تبرير عدم خرق قانون قيصر والعقوبات المفروضة على سوريا، فأي أخلاق هذه، التي تتشدق بها هذه الدول التي تدّعي بأنها تدافع عن الديمقراطية والإنسان في العالم، ولتغطي أخطاءها يحوّل البعض منها تقديم مساعدات عن طريق منظمات أغاثة وتابعة للأمم المتحدة، ومن هنا على الشعوب العربية وأحرار العالم الضغط في سبيل كسر الحصار ورفع العقوبات عن سوريا، لتخفيف معاناة شعبها الشقيق المستمرة كل هذه السنوات.

(قف)

الزلزال والانتخابات المصيرية في تركيا

لم تنته آثار زلزال تركيا بعد، ولا يبدو أنها ستنتهي في القريب العاجل. في المقابل ، تتحول الكارثة ، كما كتب الباحث والصحافي اللبناني جو حمورة، إلى ميدان خصب للتنافس السياسي بين الحاكم الحالي وأحزاب المعارضة، منافسة على أشلا الجثث وأنقاض المباني المهدمة والمدن المبعثرة، إذ يحاول الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وحزبه الاستفادة من الأزمة، فيما معارضوه يقتنصون «الفرصة» لإزاحته من السلطة التي تربع على عرشها منذ عام ٢٠٠٢ وحتى اليوم. يعرف الرئيس التركي جيدا، أن الزلزال في بلاده ليست حدثا طبيعيا فحسب، بل كارثة لها تأثيراتها في السياسة أيضا، خصوصا أن وصوله إلى السلطة ترافق مع زلزال مرمرة في ولاية كوجالي عام ١٩٩٩، الذي أودى بحياة ٢٥ ألفا على أقل تقدير. تلك السنة والسنوات التي تلتها، راح أردوغان وأنصاره بقل بون الرأي العام على السلطات القائمة، ويحملونها مسؤولية التقصير في مواجهة الكارثة وسوء حال البلاد.

فهد المضحكي

استفاد أردوغان وحزبه «العدالة والتنمية» من زلزال مرمرة، للظهور كمنقذين لبلادهم من حالة الخراب وعدم أكتراث السلطات، ثم ظفر أردوغان ومن معه في الانتخابات البرلمانية وشكل وا حكومتهم حتى اليوم. شكل زلزال 1999 فرصة لأردوغان، فيما شكل زلزال 2023 أزمة له. تحول من مقتنص فرصة إلى مدافع عن الوضع القائم. هذا ويسعي الرئيس التركي جاهدا إلى الاستفادة من الزلزال لمصلحته. فأعلن عن أعطاء كل عائلة متأثرة بالكارثة مبلغ 10 الف ليرة تركية (نحو 530 دولارا أمريكيا)، كما أعلن عن مشروع بناء وحدات سكنية جديدة في الولايات المتضررة لإيواء الذين تهدمت منازلهم.

هذه المساعدات والوعود تبدو أقرب إلى رشوة انتخابية من مساعدات حقيقية، إذ سيتم دفعها في الأشهر المقبلة، أي في فترة الانتخابات الرئاسية والنيابية المزمع إجراؤها أواخر الربيع المقبل. هذه الانتخابات ستكون المنافسة الأخيرة التي يخوضها أردوغان في مسيرته السياسية، إذ يسعي جاهدا إلى الفوز بها ليحكم لولاية رئاسية أخيرة، ليكون المتربع على سدة الحكم هي الجمهورية التركية في ذكرى تأسيسها المئوية الأولى في خريف عام 2023. وعلى الرغم من بعض التسريات الإعلامية التي تفيد بأن السلطات قد تعمد إلى تأجيل الانتخابات لبضعة أشهر.

يجهد أردوغان وحزبه كما الأحزاب المنافسة على التصرف كمرشحين للانتخابات بعد وقوع الزلزالين، لا كمسؤولين في الدولة. ركزت وسائل الإعلام التركية الموالية في عراضة انتخابية أخرى لحزب «العدالة والتنمية» على نشر صور ومشاهد من نقل طائرتي أردوغان الخاصتين عشرات الأطفال والمصابين إلى المدن الكبرى بعيدا من أماكن الخطر. كما راح «الجيش الإلكتروني» التابع للحزب الحاكم والمناصر لأردوغان يبث مشاهد استقباله «بحفاوة» قرب المباني المدمرة، ويظُهر دعوات رجال ونساء الأحياء له بطول العمر وبالمزيد من الإنجازات. عدا الوعود الانتخابية، لم ينس الرئيس التركي رسالة إلى خصومه، إذ أعلن أن «الاستفزازات وبث الشائعات من وسائل الإعلام وأحزاب المعارضة والمواطنين لن تكون مقبولة». وتلى ذلك، مباشرة، تصريح من وزير العدل أعلن فيه أن كل مخالف ومقصر ومتجن سيواجه بالعقوبات القاسية.

وعلى الجانب الآخر، ليست تصرفات أحزاب المعارضة أفضل بكثير من تصرفات أردوغان وحزبه ، زعيم حزب "الشعب الجمهوري" المعارض الأبرز، كمال كيليتشدار أوغلو، صب جام غضبه على أردوغان وحزبه، إذ أعتبر"أنه المسؤول عن الكارثة، وهذه الحكومة لم تجهز البلاد لمواجهة الزلازل على الرغم من وجودهم في السلطة مدة 20 عاما. لهذا السبب لم أفكر في التواصل والتحدث مع أردوغان، وأنا لا أرى هذه القضية فوق السياسية أبدأ. إن السياسية هي من أوصلتنا إلى الوضع الحالي".

ومنذ أشهر، تجهد 6 أحزاب معارضة على تشكيل تحالف سياسي واحد لمنازلة أردوغان وحزبه انتخابيا ، وهي تراهن على ضعف الاقتصاد التركي المستجد في السنوات القليلة الماضية، كما على التأثيرات السلبية المتزايدة للاجئين السوريين على المجتمع التركي، فيما أتت الزلازل كفرصة ذهبية لها من أجل تأليب الرأي العام التركي وإضعاف الحزب الحاكم، بخاصة أن أعمال الإغاثة لا تبدو جيدة، كفوءة أو سريعة بالقدر الكافي. بالعودة إلى الاستفادة السياسية، فقد حزب "العدالة والتنمية" الحاكم إحدى شخصياته جراء الزلزال، وهو النائب يعقوب تاش. فيما راحت وسائل الإعلام الموالية للحكم تصفه بالشهيد وتحول موته لدعاية سياسية وانتخابية.

على الرغم مرور يضعة أيام على الكارثة في تركيا، يحاول الجميع سريعا، الاستفادة واستثمارها سياسيا وانتخابيا، ومن المتوقع أن تشهد الأيام المقبلة محاولات جديدة لتهييج مشاعر الناخبين لتجييرها في الصناديق... يحصل ذلك فيما لا يزال الآلاف تحت الأنقاض، مقابل الملايين من المتضررين والمشردين والمصابين، فعلى وقع تراجع الآمال بانتشال المزيد من الأحياء، يخوض أردوغان وخصومه معركة انتخابية جانبية استباقية... تحضيرا للانتخابات المقبلة.

ذكرت صحيفة أحوال التركية في تقرير لها ، مع أن الوضع الكارثي الذي باتت فيه تركيا في ظل مأساة إنسانية قبرت خلالها عائلات بأكملها تحت الأنقاض وتشردت معها آلاف العائلات، قد لا يسمح بالخوض في سيناريوهات ما بعد الزلزال وارتداداته السياسية، إلا أن السجالات الأخيرة بين الرئيس أردوغان ومعارضيه تشير بكل وضوح إلى مواجهة محتدمة ستشكل تبعات الزلزال مادة خصبة لها. ومع تبادل الطرفين اتهامات كان آخرها اتهام حزب الشعب الجمهوري، أكبر حزب معارض في تركيا لحزب العدالة والتنمية الحاكم بالاستيلاء على المساعدات التي تبرع بها مواطنون وتوظيف ذلك انتخابيا عبر الاحتيال من خلال وضع ملصقات للحزب على صناديق التبرعات. وفي ظل الوضع الكارثي أعلن الرئيس التركي حالة الطوارئ وقد يتعلل بذلك لتأجيل الانتخابات وهو سيناريو وارد جدا خاصة بعد تعرضه لانتقادات حادة عمقت متاعبه ودفعت شعبية مجددا لمستويات دنيا.

وقبل الزلزال كان أردوغان يقاوم بشدة لإستعادة ثقة الناخبين وبالفعل استطاع ترميم بعض من شعبيته عبر إجراءات اجتماعية يصفها معارضوه بـ" الخادعة" ، لكن الكارثة الأخيرة نسفت كل تلك الجهود وأعادته للمربع الأول. وتعتقد مصادر محلية وغربية أن الوضع الراهن لما بعد الزلزال لن يخدم أردوغان وحزبه انتخابيا وأنه قد يستخدم مجددا صلاحياته الدستورية لإرجاء الاسحقاق الانتخابي. وبمجرد أن يهدأ ضجيج حصر الضحايا ويستقر رأي السلطات على إزالة ركام أسوأ زلزال يضرب البلاد، وحصر الخسائر الاقتصادية للكارثة التي جاءت بينما تستعد تركيا للانتخابات التي قدم الرئيس التركي موعدها من يونيو إلى مايو القادم ، ستفتح المشهد السياسي التركي على أكثر من أزمة سياسية ومالية وسط سجالات بدأت مبكرا بين المعارضة التركية والحكومة التي تحاول لملمة فضيحة الانهيارات غير المفهومة لآلاف المباني بينما بقيت أخرى مجاورة لها صامدة، مايعني وجود مخالفات واسعة لمعايير البناء خاصة في مناطق بلدية يديرها مسؤولون من حزب العدالة والتنمية الحاكم.

ماذا بعد بالنسبة للبرازيل؟

بقلم:
Raphael Tsavkko Garcia

أدى تصاعد العُنف إلى دفع البرازيل إلى حافة الإنهيار الديمقراطي في الثامن من يناير 2023، حينما أقتحم أنصار الرئيس البرازيل السابق جايير ميسياس بولسونارو) مراكز السُلطة، مُطالبين بإنقلاب عسكري. تم تجنُب الأسوأ، لكن البلاد تواجه إنقسامات اجتماعية عميقة ويميناً مُتطرفاً، مما لا يترك للرئيس لولا دي دا سيلفا Lula مجالاً للخطأ.

في الثامن من يناير، شاهدت البرازيل في ذهول حيث قام آلاف من مؤيدي الرئيس البرازيلي السابق جايير بولسونارو Jair Bolsonaro بغزو وتحطيم والعبث بقصر الرئاسة وبالمحكمة العُليا، وبالبرلمان، بهدف حث القوات المسلحة على القيام بإنقلاب عسكري ضد الرئيس المنتخب ديمقراطياً لولا دا سيلفا Lula da Silva.

ووراء الأعمال الإرهابية كُلٌ من أنديرسون توريس Anderson Torres (وقد تم القبض عليه فيما بعد) وزير العدل السابق في حكومة الرئيس السابق جايير بولسونارو، وشخصيات عسكرية من ذوي الرُتب العسكرية العالية في القوات المسلحة، وضباط من الشرطة العسكرية، وكذلك دون شك الرئيس السابق جايير بولسونارو نفسه الذي هرب من البلاد قبل يوماً من إنتها مدة رئاستهِ خوفاً من القبض عليه وهو الآن موجود في ولاية فلوردا بالولايات المتحدة الأمريكية. وهُناك دعاوي قضائية مُعلقة ضده قد تؤدي إلى عدم الأهلية وحتى السجن.

كان بعض كِبار المسؤولين العسكريين والشُرطة، المُتعاطفين مع الرئيس السابق جايير بولسونارو، سلبيين أو حتى مُتواطئين مع غزو مركز سُلطة الجمهورية. ومع ذلك، وافقوا في النهاية على الخضوع لأوامر الرئيس – ليس بدون بعض المقاومة: فقد تمّ فصل قائد الجيش، الجنرال خوليو سيزار دي أرودا Julio Cesar de Arruda، من منصِبه لرفضهِ الإنصياع .

بولسونارو، المشهور بالوعظ بالعُنف ضد المعارضين، ومُهاجمة الصحافة، واستهداف النساء والمثليين وثُنائيي الجنس والمُتحولين جنسياً، وتخفيف قاونين مراقبة الأسلحة، قال مِراراً وتكراراً أنهُ لن يترك الرئاسة. ورغم أنهُ تراجع بعد الهزيمة في الإنتخابات، تاركاً أنصاره في الشوارع بدون زعيم، فإنهُ يتحمل الجزء الأكبر من المسؤولية عن مناخ الإنقسام الذي سيطر على البلاد.

لقد تميّز السباق على الرئاسة بالعُنف منذُ البداية، بالترهيب والعدوان من كلا الجانبين، ولكن في حالة عدم

ترجمة:
غريب عوض

تناسق واضح. في جميع أنحاء البلاد، حاول أنصار الرئيس الذي لم تنته مدة رئاسته شِراء الأصوات، وفي إحدى الحالات حتى أمام كاميرات التلفزيون؛ هدد رِجال الأعمال الموظفين والعمال بالفصل من وظائفهم ، محاولين إجبارهم على التصويت لبولسونارو؛ وتم وضع حواجز على الطُرُق في جميع أنحاء البلاد، مع المُطالبة بالتدخل العسكري؛ حدثت إعتداءات حتى داخل العائلات؛ كانت مجموعة من الطلاب من إحدى مدارس النُخبة تُخطط لشراء أسلحة وقتل أولئك الذين دعموا لولا دا سيلفا Lula da Silva.

وبالرغم من كلُ شيء، تم انتخاب لولا دا سيلفا لفترة رئاسية ثالثة غير مُتتالية. وبعد أن قضى مدة 580 يوماً في السجن بتهم فساد ورؤيته لفُرص نجاحه في الإنتخابات الرئاسية لعام 2017 مُعلقة، تم إسقاط التُهم وعاد لولا Lula لقيادة البرازيل.

كان الفارق في الأصوات بين المُتنافسين الإثنين يزيدُ على المليونين فقط ، بفوز لولا بنسبة كبيرة جداً في الشمال الشرقي من البلاد ، وفوز بولسونارو بنسبة كبيرة في جنوب البلاد، مما أعاد الى النور إنقسامات مناطقية ذات جذور عميقة قديمة في البرازيل.

أراد 58 مليون من الشعب البرازيلي استمرار حكومة جايير بولسونارو، المسؤولة عن مئات الآلاف من الوفيات خلال الجائحة – "الإنفلونزا الصغيرة"، كما أعتاد الرئيس أن يقول – عن نشاط يروج لتدمير غابات الأمزون المَطيرة، وترك البلاد دولياً معزولة، ويُحافظ فقط على اتصالات وثيقة مع منبوذين مثل فيكتور أوربان Viktor Orban الرئيس المجري.

على الرغم من أنهُ قد تم تجنب إنهيار المؤسسات الديموقراطية، إلا إن الرئيس لولا Lula يواجه بلد في توتر عظيم، في أزمة سياسية وإقتصادية وإجتماعية، مع فجوة آخِذة في الإتساع بين طبقات أكثر تعليماً وهؤلاء الذين قد أصبحوا رهينة للقساوسة الإنجيليين الأصوليين، والجوع الذي يُصيب مرة أُخرى الملايين من الناس.

التوتر المتصاعد

بعد ظهور النتائج مُباشرةً، تحدث الرئيس لولا Lula عن المُصالحة وتوحيد البرازيل المنقسِمة. وفي غضون ذلك، في 25 ولاية على الأقل في جميع أنحاء البلاد، كان سائقي الشاحنات وغيرهم من أنصار جايير بولسونارو ينظمون مظاهرات ويضعون حواجز في الشوارع والطُرقات كان من المُمكن أن تؤدي إلى نقص في السِلع الأساسية ، في مُحاولة للطعن في نتائج الإنتخابات وفرض إنقلاب عسكري .

تدريجياً ، بدأت المليشيات المتطرفة بمغادرة الطُرُق وتركيز احتجاجاتها أمام ثكنات الجيش ، مُطالبين بالتدخُل العسكري لضمان استمرارية حكومة بولسونارو. وعلى الجانب المؤسسي، قدم حزب (Partido Liberal (PL التابع للرئيس جايير بولسونارو في المحكمة طلباً للطعن في نتائج 279 ألف صندوق إقتراع تم استخدامها في الجولة الإنتخابية الثانية – دون تقديم أي دليل على حدوث تزوير أو خلل في بطاقات الإقتراع الإلكترونية. وسُرعان ما رُفضت الدعوى وأمِرَ الحزب بدفع ما يُقارب 23 مليون ريال (أكثر من 4 ملايين دولار أمريكي) كغرامات .

وبعد بضعة أسابيع ، بدأت موجة جديدة من احتلال الطرُق في الولايات التي يُحظى فيها الرئيس بدعم واسع مثل سانتا كاتارينا، وموتو جروسو، و روندونيا. وسرعان ما أصبحت الإحتجاجات أكثر عُنفاً، حيثُ أتهم المحللون وحتى شرطة الطُرق السريعة الفيدرالية (PRF) أنصار بولسونارو بالإرهاب. وحتى تلك اللحظة، تعرضت هيئة مراقبة التمويل السياسي نفسها لإنتقادات لكونها مُتساهِلة بل ودعمت المظاهرات غير القانونية والعنيفة في كثير مِن الأحيان .

استخدم أنصار بولسونارو Bolsonaro قنابل محلية الصنع مصنوعة من زجاجات بنزين ومفرقعات نارية، وتم سكب الزيت عن عمد على الطُرق، وإقامت حواجز بإطارات مُحترقة وصناديق وجذوع أشجار لمنع تدفق حركة المرور . كما أجبروا سائقي الشاحنات على ترك سيارتهم وأشعلوا فيها النار – وتم القبض على رجُلين بسبب هذه الجريمة مع جالون من البانزين والأسلحة النارية وما يُقارب من 10،000 ريال (حوالي 2000 دولار أمريكي) نقداً .

وفي منطقة ماتو غروسو تم إشعال النار في قاطرة وسيارة إسعاف، وتم اقتحام محل لتصليح الإطارات وسرقة محتوياته لإقامة حواجز على الطُرُق. كما أطلق أنصار بولسونارو النار على الشرطة العسكرية، مما أدى إلى القبض على ثلاثة من الإرهابين المحليين المحتملين. كما تم استعمال قنابل المولوتوف وأسلحة نارية أيضاً ضد قاعدة صاحب الإمتياز التي تُدير طريقاً في منطقة ماتو غروسو.

وكما كان الحال مع الإحتجاجات الأولى واحتلال الطُرُق، أتهمت الشرطة بالسماح بحدوث أعمال مؤيدة للإنقلاب وتصبح عنيفة بشكل مُتزايد.

وتحاول الشرطة والعدالة تحديد عمليات تنسيق وتمويل حواجز الطُرُق والأعمال الإرهابية. يُعتَقَد أن رجال الإعمال، وكثير منهم مرتبطون بقطاع الأعمال الزراعية، يدعمون الأعمال غير القانونية والعنيفة.

إن استخدام العُنف كأداة للضغط من أجل إحداث الأنقلاب العسكري ، بل كذلك حقيقة أن الإحتجاجات تم التنسيق لها وتمويلها من قِبل رجال الأعمال (الذين تبرعوا أيضاً بالمال لحملات بولسونارو الإنتخابية) ربما يؤدي إلى تأطيرها على أنها أعمال إرهابية وتخريبية. وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك تكتيكات شبيهة بالتكتيكات النازية مثل تحديد منازل ناخبي حزب العمال، في المناطق الداخلية من منطقة ريو غراندي دوسو بنجمة على أبوابهم (رمز الحزب)، أو مقاطعة الشركات المُتهَمة بدعم حزب العمال في ولاية ساو باولو .

في ولاية سانتا كاتارينا وولاية بارانا وغيرها، تلقى أصحاب الأعمال المُتهمين بدعم حزب العمال، مكالمات عدائية وتعليقات سلبية على شبكات التواصل الإجتماعي. وتم وضع أسمائهم وأرقام هواتفهم وعناوين الشركات في القوائم التي شارك فيها أنصار بولسونارو، في مجموعات ال WhatsApp والتيلغرام. حتى أن البعض منهم تلقى تهديدات بالقتل، مما زاد من جو الخوف.

وفي المُدُن الصغيرة والمتوسطة الحجم، كان الخطر الذي واجه ناخبي لولا دي سيلفا أو المتهمين بدعمه، أعظم . الكثير من الشعب البرازيلي يخشى أن يُصبح العنف السياسي أمراً سائداً في البلاد. في الخيام التي نصبها أنصار بولسونارو بالقرب من ثكنات الجيش في العديد من المُدُن، كانت هناك تهديدات وترهيب ضد أولئك الذين تجرأوا على إنتقاد التعبئة. لم يكونوا على استعداد لقبول الهزيمة – أو الديمقراطية ، في هذا الصدد.

'الشعب' ينهض

في بلد مُعرّض بالفعل للعُنف ، أدى هذا التصعيد الخطير في نهاية المطاف بالديمقراطية إلى حافة الإنهيار. ما شُهِد قبل 8 يناير – قتل لأنصار لولا دي سيلفا، والتهديد والترهيب، وأعمال التخريب، والإعتداء على عناصر الأمن – قدم الخلفية للخطة الرئيسة للإستيلاء على السُلطة عن طريق القوة. وبقيت قوات الشرطة سلبية أثناء تدمير مقرات السُلطة – بما في ذلك الأعمال الفنية التي لا تُقدر بثمن ومواد تاريخية – وعندها فقط تحركوا، وإن كان ذلك على استحياء.

وحتى الجيش تدخل في البداية لمنع اعتقالات الشرطة، وصرح الإعلام المرتبط بالرئيس السابق، بإنتصار بأن "الشعب" ينهض. الإرهابيون يتدفقون على الهواء من داخل القصور وينشرون جرائمهم أمام الملاء ، في محاولة للتحريض على المزيد من العُنف 'وإثارة الجماهير'. ولكن رد فعل غالبية الجماهير وفقاً لإستطلاع الرأي كان بغيضاً.

ولحسن الحظ، على الرغم من العُنف، لم تكن هناك وفيات. استجابت المؤسسات بسرعة وكان من الممكن منع حدوث الأسوأ. تم القبض على أكثر من 1300 شخص، لا يزال الكثير منهم في السجن وسيواجهون مُحاكمات قد تؤدي إلى أحكام بالسجن لفترات طويلة. في جميع أنحاء البلاد، تبحث الحكومة والمؤسسات عن هؤلاء الذين موّولوا محاولة الإنقلاب، وقد قررت الحكومة تغيير قيادة الشرطة الفيدرالية وشرطة الطُرق السريعة الفيدرالية في جميع أنحاء البلاد لكي توقف المشاعر غير الديمقراطية.

ويواصل أنصار الرئيس السابق الإعلان عن تعبئة جديدة مناهضة للديمقراطية وسط حملة القمع المستمرة. وعلقت المحكمة العُليا ملفات تعريف الشبكات الإجتماعية وأرسلت إلى السجن العديد من أعداء الديمقراطية – ليس من دون انتقادات بشأن إساءة استخدام السُلطة والقوانين، على الرغم من اللحظة الحرجة التي تواجهها البلاد.

على سبيل المثال قام قاضي المحكمة العُليا الإسكندر دي مورايس Alexander de Moraes بإقصا حاكم الحي الفيدرالي، Ibaneis Rocha إبانيس روتشا من منصبه لمدة 90 يوماً، وهو إجراء اعتبره البعض مُبالغٌ فيه: كان الرئيس لولا Lula قد أصدر بالفعل مرسوماً بالتدخل الفيدرالي في الأمن العام المحلي، ولا يوجد دليل يربط الحاكم بمحاولة الإنقلاب، ما عدى سكرتير الأمن لديه.

في أعقاب ذلك: بلدٌ مُقسم

وبعد كل ما مرت به البرازيل، فإنها ليست بحاجة إلى عملية مُصالحة كما يدعو البعض، ولكن إزالة التطرف على نطاق واسع لا يمكن أن تنجح إلا إذا تمت مُحاسبة بولسونارو Bolsonaro وأولئك الذي يُمولون أو يُروجون لأعمال العُنف والإرهاب ومُعاقبتهم بسرعة.

سيتلقى الرئيس المنتخب حديثاً لولا دي سيلفا Lula da Silva النوايا الحسنة من قِبل معظم الديمقراطيات في العالم. سارع الرئيس الأمريكي جو بايدن Joe Biden إلى تهنئة الرئيس لولا Lula بفوزه، ومن المتوقع أن تكتسب العلاقة بين البرازيل والولايات المتحدة الأمريكية زخماً جديداً (كان للرئيس السابق بولسونارو علاقات جيدة مع الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، لكن لا يمكن قول الشيء نفسه لخلفه).

يبدو أنهُ قليل، لكن الدعم الدولي مهم لحماية الديمقراطية البرازيلية ومنع المزيد من القطاعات الراديكالية في القوات المسلحة من العمل ضد الدستور. لم يحظ انقلاب عام 1964 الذي أدى إلى ديكتاتورية عسكرية استمرت 21 عاماً في البرازيل بتأييد من الولايات المتحدة فحسب ، بل وبدعم منها أيضاً. الآن، الوضع مختلف جداً.

في ولايتي حكم الرئيس لولا دي سيلفا الأولى والثانية، سعت السياسة الخارجية البرازيلية إلى أن يكون لها موقف نشط على الساحة الدولية: فقد ساهمت في إتفاق بين إيران وتُركيا بشأن الأسلحة النووية الإيرانية، وأقامت تحالُفات مع أفريقيا، وأعترفت بفلسطين كدولة، وضمنت للبرازيل مكانة دولية بارزة مع الحفاظ على علاقات ممتازة مع الرئيس الأمريكي آنذاك باراك أوباما. ويتذكر الكثيرون هذه الفترة ويأملون أن تستعيد البلاد مكانتها. مع الرئيس السابق بولسونارو، إنتهى الأمر بالبرازيل إلى العزلة الدولية، والآن قد تعود بعض سياسات لولا Lula القديمة إلى مركز الصدارة، حيثُ تُجدد البلاد النقاش حول مقعد دائم في مجلس الأمن الدولي.

وستكشف لنا الإيام كيف سوف يُبحر الرئيس لولا Lula في القضية الشائكة لحرب روسيا ضد أوكرنيا. أثناء الحملة الإنتخابية، أعاد إنتاج سلسلة اليسارية الأمريكية اللاتينية القديمة لمحاولة مُساواة المُعتدي بالضحية، ويجب أيضاً أخذ دور البرازيل في مجموعة البريكس BRICS في الأعتبار. ومع ذلك، دعا لولا Lula أيضاً إلى تقارب حذر مع الولايات المتحدة والإتحاد الأوروبي، وشدد في خطاب تنصيبه على الحاجة إلى التحدث إلى الإتحاد الأوروبي حول القضايا البيئية والحفاظ على غابات الأمازون .

وعد الرئيس لولا Lula بإنشاء وزارة للشعوب الأصلية، ربما بقيادة عضوه البرلمان من السكان الأصليين سونيا غواجاجارا Sonia Guajajara، كطريقة للإعتذار عن مُعاملة حزبه للسكان الأصليين. أدانت المحاكم الدولية سد بيلو مونتي، الذي تم تشييده خلال فترة ولاية الرئيس ديلما روسيف Dilma Rousseff، ولا يزال يلحق الضرر بمجتمعات السكان الأصليين في شمال البرازيل .

على الرغم من تمكنهم من الحفاظ على وجود كبير في البرلمان، إلا أن تطرف العديد من النشطاء والسياسيين المؤيدين لبولسونارو يمكن أن يُسبب إنقساماً في قاعدتهم ويُضعف مُعارضة الرئيس لولا Lula، خاصةً بعد محاولة الإنقلاب. كان بولسونارو نفسه يتجنب الأضواء مُنذُ هزيمته، وغير مُتحمس لقيادة القاعدة التي ساعد في إنشائها وتقويتها، أو يُفضل القيام بذلك بعيداً عن الأضواء.

من الصعب على المرء معرفة أيهما أسوأ بين قاعدة فاشية منظمة، تقودها شخصية غير قادرة علناً، وقاعدة غير منظمة ومتطرفة بشكل مُتزايد، مع عدم وجود أحد قادر على الحد من أفعالها. وفي كلتا الحالتين، فإن الخطر الذي يشكله اليمين المُتطرف حقيقي: فاحتمال ظهور قيادة أكثر قدرة يمكن أن يوجه التطرف إلى حركة أكثر تنسيقاً، مع احتمال حدوث أضرار جسيمة: قد تنجح المحاولة الثانية للإطاحة بالحكومة.

تم انتخاب لولا دي سيلفا في جزء كبير منه ليس لأنهُ كان المُرشح المُفضل، ولكن لإنهُ كان الإحتمال الوحيد لهزيمة بولسونارو. وعلاوة على ذلك، سيكون عمرهُ أكثر من 80 عاماً في حملة نهائية لإعادة إنتخابه، ولم يكن حزبه قادراً على تقديم قيادة داخلية جديدة فحسب، بل عمل أيضاً على منع ظهور شخصيات بارزة جديدة عبر اليسار، على سبيل المثال، من خلال الإستثمار في حملات قذرة ضد وزيرة البيئة مارينا سيلفا .

في كثير من الجوانب ، سيتعيّن على البرازيل إعادة بناء نفسها من سيناريو الفقر المُدقع المُتزايد ، والإضطرابات الإجتماعية، والإستياء الهائل وعدم الثقة في المؤسسات، والركود العالمي الذي يلوح في الأُفق. وقبل كل شيء، سيتعيّن عليها بناء جبهة حكومية واسعة، بما في ذلك الأحزاب والأفراد من مختلف الأطياف الأيديولوجية، وتقديم برنامج قابل للتطبيق .

لن يكون لدى الرئيس لولا Lula هامش للخطأ، ليس فقط من أجل حكومته ولكن من أجل الديمقراطية البرازيلية نفسها.

لماذا يرتفع الدولار دون سواه من العملات ؟

كثيرة هي المسوغات التي يمكن أن يسوقها الاقتصاديون والمشتغلون في قطاعات المال والأعمال. إنما، بالنسبة للوضع الحادث حاليا، يمكن أن يعزى ارتفاع الدولار الى تحول مجلس الاحتياطي الفدرالي الأمريكي من سياسة صفر سعر فائدة الى بدء رفع معدلاتها بصورة متواترة (تبلغ اليوم نسبتها ٢,٥٪)، مقابل ٠,٥٠٪ في الاتحاد الأوروبي، و١,٢٥٪ في بريطانيا، في حين استمر بنك اليابان في سياسته التي تعتمد على أسعار فائدة سالبة (-٠,١٪) للحيلولة دون الوقوع في الركود.

د. محمد الصياد

الأكثر إثارة، إنه على الرغم من أن أمريكا تضطلع فقط بحوالي 10٪ من التجارة العالمية، إلا أن 85٪ من تسويات التجارة العالمية تتم بالدولار الأمريكي. وهذا سبب كاف، بطبيعة الحال، لخلق طلب مستمر على الدولار الأمريكي، الأمر الذي يوفر دعما هائلا للدولار قياسا بالعملات الأخرى. ومن أهم هذه التسويات، تسوية مدفوعات النفط التي تتم بالدولار، ما يجبر الدول والشركات على تشكيل طلب دائم على الدولار لدفع ثمن مشترياتهم من النفط. يضاف الى ذلك أن هذه البترودولارات كانت تذهب في الأساس كودائع الى بنوك وول ستريت في نيويورك ولومبارد ستريت في سان فرانسيسكو (كاليفورنيا). وهو ما أمّن لأمريكا قدرتها على تمويل انفاقها العجزي لما يقرب من خمسة عقود من دون أن تتأثر القوة الشرائية للدولار.

لكن امتياز الدولار (باعتباره عملة العملات العالمية)، بدأ يتعرض للاختراق، سواءً من خلال هيكلة الصين لقروض تمويل مشروعاتها المتصلة بمبادرة حزام واحد طريق واحد، باليوان الصيني، أو من خلال اعلان روسيا مؤخرا تقويم مبيعاتها من الغاز الى الدول التي صنفتها على أنها غير صديقة، بالروبل الروسي. المفارقة هي أن أمريكا نفسها هي التي عجّلت بخسارة هذه الهيمنة، عندما استولت بشكل غير قانوني في شهر فبراير الماضي على الاحتياطيات الدولارية لروسيا، ما أظهر بشكل قاطع لبقية العالم أن سيادة الاحتياطيات المحتفظ بها بالدولار الأمريكي هي مجرد وهم.

في هذا السياق، نشرت دان وانج، كبير الاقتصاديين في بنك "هانج سينج" في الصين، مقالا في صحيفة "تشاينا ديلي" (صحيفة يومية صينية باللغة الإنجليزية)، أواخر شهر يوليو الماضي، بأنه لوحظ في الآونة الأخيرة تغيير جوهري ملموس متمثل في انخفاض حيازات العديد من البنوك المركزية من سندات الخزانة الأمريكية. وعلى رأس تلك الدول، أكبر كيانين حائزين للسندات الأمريكية، وهما اليابان والصين. فقد خفضتا حيازاتهما لمدة ثلاثة وستة أشهر. فانخفضت حيازات اليابان إلى 1.212 تريليون دولار، وهو أدنى مستوى منذ يناير/كانون الثاني 2020. كما انخفضت حيازات الصين إلى 980.8 مليار دولار، في أدنى مستوى أيضاً منذ 2010. هذا إلى جانب ما لا يقل عن 19 حكومة أخرى، بما في ذلك حكومتا البرازيل وفيتنام، اللتان باعتا حصة كبيرة من سندات الخزانة الأمريكية.

وأرجعت وانج هذا التوجه الى ثلاثة عوامل رئيسية، أولها توقع قيام الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي برفع أسعار الفائدة من جديد، فالمعدلات الأعلى تعني انخفاض أسعار السندات. لذلك، من الأفضل لأصحاب المقتنيات النفيسة من السندات تفريغ بعض الحمولة عندما تكون الأسعار مرتفعة. والسبب الثاني هو تعزيز قيمة العملة. فقد ارتفع الدولار الأمريكي بشكل ملحوظ منذ أن بدأ بنك الاحتياطي الفيدرالي برفع أسعار الفائدة في مارس/آذار الماضي. ومن المتوقع أن يستمر في هذه السياسة النقدية المتشددة، ما يمثل ضغطاً هبوطياً هائلاً على العملات الأخرى. أما السبب الثالث فهو جهود الدول للتنويع من الأصول المقومة بالدولار. وإسرائيل هي أحد الأمثلة على دولة خفضت حيازاتها من سندات الخزانة الأمريكية وزادت في المقابل أصولها باليوان الصيني والدولار الكندي والدولار الأسترالي والين الياباني.

تقول وانج، إنه في مقابل تراجع جاذبية سندات الخزينة الأمريكية، هناك إعادة تخصيص رأس المال الصادر من سوق السندات الأمريكية إلى أسواق أخرى. وأصبحت الصين وجهة ناشئة لتدفق رأس المال، حيث يمكن للمستثمرين الأجانب شراء وبيع الأسهم والسندات بسهولة أكبر في أسواق الصين. إلى جانب ذلك، تم إدراج السندات الحكومية الصينية وملكية الأسهم في جميع المعايير العالمية الرئيسية، بما في ذلك مؤشرات الأسهم في «مورجان ستانلي كابيتال إنترناشونال»، ومؤشر سندات «بلومبيرج باركليز»، وبالتالي سيزيد المستثمرون المؤسساتيون الذين يتتبعون هذه المؤشرات تلقائياً من حيازاتهم من الأصول المقوّمة باليوان.

فما تأثير هذه التطورات على الواجهة المالية العالمية؟ على الرغم من البيع الأخير لسندات الخزانة الأمريكية، لا يزال الدولار مهيمناً ولم يتم تحدي نفوذه بشكل أساسي، ولا تزال الولايات المتحدة منبع العملة الاحتياطية الأساسية في العالم، والتي تجعل سندات الخزانة أصولاً آمنة، لا سيما في أوقات عدم الاستقرار الشبيهة بما نمر به اليوم.

في الوقت ذاته، لا تزال الرغبة في الحصول على سندات الخزانة الأمريكية واضحة في تحركات السوق الأخيرة. وفي الوقت الذي تنشغل فيه الحكومات ببيع السندات الحكومية الأمريكية، ينشغل المستثمرون الأفراد بالشراء. ففي مايو، وبينما باعت الحكومات في جميع أنحاء العالم ما قيمته 34 مليار دولار من سندات الخزانة الأمريكية، اشترى الأفراد سندات بقيمة 134 مليار دولار. ورأينا اندفاع المستثمرين من جميع أنحاء العالم إلى الأصول الآمنة، ومعظمها من سندات الخزانة الأمريكية، بسبب استمرار ارتفاع التضخم وتقلب أسواق الأسهم. إنما السؤال: هل سندات الخزينة الأمريكية أكثر أمانا وسط تقلبات

الأصول من الذهب مثلا الذي يراوح حول أقل من ألفي دولار للأوقية الواحدة؟

ومع ذلك، يشير الانخفاض في حيازات العديد من البلدان من السندات الحكومية الأمريكية إلى حدوث تحول في عقلية العديد من البنوك المركزية. إذ تفرض الولايات المتحدة بشكل متزايد عقوبات مالية على دول أخرى، مثل روسيا وإيران، ما يجعل أي دولة لديها نزاع مع الولايات المتحدة عرضة للخطر.

لإدراك التحديات التي تنتظر البلدان في جميع أنحاء العالم، يمكننا أن نضيف إلى ذلك، حالة عدم اليقين المرتبطة بالانتخابات الأمريكية الأمريكية النصفية (في الثامن من نوفمبر/تشرين الثاني 2022 ستُجرى انتخابات التجديد للكونغرس على كل مقاعد مجلس النواب الـ435، وعلى 34 من مقاعد مجلس الشيوخ المئة)، والتعافي المتعثر بعد الوباء، الذي استحال ركوداً بحكم الأمر الواقع. وبالتالي ليس من المستغرب أن الحكومات تريد التنويع بعيداً عن احتياطيات الدولار، ولو جزئياً على الأقل. ورداً على العقوبات الأوروبية ضدها، ومن أجل الالتفاف على القرارات الأمريكية، فرضت روسيا على الدول الأوروبية نظام الدفع بالروبل مقابل شراء الغاز الروسي.

في الواقع، سيواجه الدولار مزيداً من المنافسة في المستقبل، ليس فقط من العملات التقليدية الأخرى، ولكن أيضاً من العملات المشفرة. فالمملكة العربية السعودية على سبيل المثال، خفّضت حيازاتها من سندات الخزانة الأمريكية بنحو 40 في المئة منذ أوائل عام 2020، وجربت تسوية بعض المعاملات الدولية باستخدام العملات المشفرة.

جوهر الأزمة..الأحادية القطبية

النظام أحادي القطبية، الذي تتم «صيانته دوريا» للمحافظة عليه وعلى نظام السلسلة الاحتكارية للقطاعات الاقتصادية العالمية الرئيسية، يعد واحدا من الأسباب الجذرية للأزمة العالمية. بموجب هذا النظام، لدينا مركز ضخم للاستهلاك هو أمريكا، التي تموَّل عجزيا هذا النهم الاستهلاكي بصورة مطردة بواسطة الاقتراض الخارجي، وبالتالي مراكمة ديون لا تتوقف عن التصاعد، وعملة احتياط فقدت معظم مصادر قوتها المرتبطة بنخاع الأساسيات الاقتصادية، ونظام واحد مهيمن لتقييم الأصول والمخاطر، تمثله ثلاث وكالات تصنيف ائتمانية أمريكية.

وهذا يفسر انخفاض جودة عمل الهيئات التنظيمية للأسواق والاقتصاد بوجه عام، والمسوغات المتهالكة للتقييمات الاقتصادية التي تجريها الحكومات ووكالات التصنيف. والنتيجة هي الأزمة التي لا يمكن تفاديها.

لقد حل نظام مقياس الدولار الذي من تجسيداته سندات الخزانة الأمريكية التي تشتريها الدول الأجنبية وتحتفظ بها في بنوكها المركزية – حل محل معيار تبادل الذهب الذي تحتفظ به البنوك المركزية في العالم لتسوية المدفوعات فيما بينها. وقد مكّن ذلك الولايات المتحدة من إدارة عجز في ميزان المدفوعات بشكل فريد لأكثر من سبعين عاما، على الرغم من حقيقة أن سندات الخزانة الأمريكية هذه لا تتمتع بفرصة واضحة لسدادها إلا بموجب نفس آلية تمويل سداد الدين بدين جديد.

وهذا ما يجعل الولايات المتحدة، الدولة الوحيدة في العالم التي يمكنها أن تعاني من عجز مستمر في ميزان المدفوعات دون الاضطرار إلى بيع أصولها أو رفع أسعار الفائدة لاقتراض أموال أجنبية. كما لا يمكن لأي اقتصاد وطني آخر في العالم أن يتحمل نفقات عسكرية خارجية ضخمة، كما هو حال الاقتصاد الأمريكي، دون أن يفقد قيمة عملته التبادلية. ولولا هذه الامتيازات، لغرق الاقتصاد الأمريكي منذ ما بعد فك ارتباط الدولار بالذهب مطلع سبعينيات القرن الماضي. وهذا هو سبب سعي روسيا والصين والقوى الأخرى التي يعتبرها الاستراتيجيون الأمريكيون منافسة وأعداء استراتيجيين، لاستعادة دور الذهب كأصل أولي وأساسي لتسوية اختلالات موازين مدفوعات الدول.

وعلى الدوام، كان رد أمريكا على أية دولة تفكر في تفضيل الذهب أو العملات الأجنبية الأخرى على الدولار كعملات احتياط واكتناز، هو اللجوء الى إحدى وسائلها المعتمَدة لتغيير النظام، على نحو ما أقر به يوم الثلاثاء 12 يوليو 2022، جون بولتون، السياسي الأمريكي ذو النزعات الفاشية، الذي شغل منصب مستشار الأمن القومي في إدارة الرئيس دونالد ترامب، حيث اعترف في مقابلة أجراها معه الصحافي في "CNN"، جيك تابر (Jake Tapper)، بأنه ساعد في التخطيط لانقلابات في دول أجنبية، وذلك في سياق مناقشة الثنائي تمرد الكابيتول وما إذا كان الرئيس السابق ترامب قادرا على التخطيط بشكل فعال لانقلاب. ومن الأمثلة على ذلك الإطاحة بالرئيس الليبي معمر القذافي بعد أن سعى إلى قصر احتياطيات بلاده الدولية على الذهب، وانشاء نظام نقدي قائم على معيار الذهب لتسوية المبادلات التجارية بين بلدان القارة الأفريقية. فكانت تصفيته بمثابة تحذير عسكري لدول أخرى.

ومن المفارقات المحيِّرة للمعنيين بالأساسيات الاقتصادية، أنه بفضل قيام البلدان التي تتمتع بفوائض في موازين مدفوعاتها، باستثمار هذه الفوائض الدولارية في سندات الخزانة الأمريكية، فإن ميزان المدفوعات الأمريكي الذي يسجل عجزاً متواليا، يتكفل بتمويل عجز الموازنة الأمريكية العامة؛ كما أن قيام البنوك المركزية الأجنبية بإعادة تدوير الإنفاق العسكري الأمريكي في الخارج من خلال شرائها لسندات الخزانة الأمريكية، يمنح أمريكا، "توصيلة" مجانية، متمثلة في تمويل ميزانيتها التي تغلب عليها النفقات العسكرية، ليتم تحصيلها عبر جباية الضرائب من الأمريكيين.

البحرين بحر العين

(ا)

البحرين بحر العين هذه الصورة الشعرية الخلاقة، هي ما يختصر حقاً جمال هذه الجزر من الخليج، إذ البحر ينتقل لكي يكون البحر الذي تسبح فيه عيوننا، وأود أن أضيف قائلاً: البحر الذي تسبح فيه عواطفنا وقلوبنا وأرواحنا. الذين اتجهوا إلى البحر دون معرفة إمكانية العودة منه ثانية من عدمها، وعندما يعود البحار الى وطنه بعد غياب، يعود كأنه ولد ثانية، وكأنه جاء ليعيش مرة أخرى، بعد أن أيقن الجميع احتمالات غيابه الأبدي، بالطبع هذه المشاعر الجياشة تزداد ضراوة كلما اتجهنا جنوبا، مع الشواطئ المطلة على المحيطات الكبرى، والتي تدفع البحار الرحيل إلى الاقاصي البعيدة في إفريقيا وآسيا. البحرين الجزيرة في بحيرة الخليج، يعود اليها ابناؤها طال بهم الغياب ام قصر، هذه جزر تتمسك حتى الموت بأبنائها، لذلك هي دائما تبدع الرموز، رموز النضال ورموز الابداع ورموز التضحية، بكل ما تهبه الحياة للإنسان من متع الزوال والرفاه.

سماء عيسى اثناء القائه محاضرته في مقر التقدمي

من الجزر ينبع الاحساس الفجائعي ومنها تنبت إرادة البقاء والمغامرة وارتياد المجهول

إنها وحدة النقائض، إذ البحر واهب الحياة واهب الممات أيضا، هكذا ظفر الخليجيون بهذا التكوين الشقي في الحياة، العلاقة مع البحر هي دوما علاقة الرهبة والخوف والفراق وعدم العودة إلى أحضان الأرض ثانية. أما الأرض فهي الأم الحنون التي بأحضانها نعثر على المفقود، ويرحل الإغتراب عنا بعيدا في الغياب. نعود دوماً إلى الأرض ونحن في غمرة الشعور المأساوي بالحياة، وما نحن بحاجة إليه في أوقات مهمة من العمر، كالطفولة والشيخوخة، هي روح الأمومة التي لا توفرها غير الأرض.

الأرخبيل البعيد الهادئ مثلما يبدو لنا هدوء الموج بعد ارتطامه بصخور الأرض، أو بعد استراحة المحارب مع وصوله شاطئ الأمان النهائي، قدّم لنا عبر التاريخ تجارب الشعر الخالد، المتميز بلغة لا نجد لها رديفاً واقتراباً وتشابهاً، أقرب الأمثلة على ذلك جزر الأنتيل االبعيدة، التي لا نعرف عنها غير شعرها الغريب، شعر سان جون بيرس وديريك والكوت وايميه سيزير. الشعر الفائض بملوحة البحر، بهدوئه وصخبه، بما تذرفه النساء من الدمع وما يسكبه الرجال من عطاء العرق والدم، يخرج من حصار البحر هذا الشعر متجهاً في نداء روحي بعيد إلى الكون ،شعر تغذى بذكريات الطفولة ممتزجا بصراع الإنسان مع شقاء الحياة من أجل البقاء في أطراف العالم البعيد،الصامت المسكون بآلهة الشعر ،تتفجر التجارب الشعرية الكبرى، قدر الأرخبيلات البحرية البعيدة المتحدة مع الكون المنفصلة عنه في آن.

ليس أمام أبناء الجزر غير تبوء الصدارة في هذا الصراع، من الجزر ينبت الإحساس الفجائعي، ومنها أيضاً تنبت ارادة البقاء والمغامرة وارتياد المجهول، البحرين هي هذا القلب النابض دوماً بحياة لا نهاية لها، نشيخ ونفنى ونرحل عن الوجود، تبقى لمسات الروح وتجارب العطاء المتجدد، في هذه التربة النابضة بالعطاء الإبداعي الخلاق .

الخليج أرض البدايات الأولى، الحلم الذي عبر عنه الإنسان شعراً، وهوفي التعبير عن ألمه قدّمه غناء شفافا، يذهب إلى جذر الأسى. ماذا يخبئ غموض البحر، وأين تقع أطراف الأرض؟، وهل حقا نعود من الأرض التي أتينا منها، أسئلة ترتبط بالشعر، جوهره وكائناته،غرابة روحه وتطوافه الغامض في بحار لا ندرك منتهاها، هي عزلة الأطراف التي تتجه إلى تجارب إنسانية في جهة الخليج الأخرى، حيث الحضارة الفارسية القديمة، أو عبوراً عبر المحيط الهندي إلى شبه جزيرة الهند وغناء ثرائها الأسطوري.

(2)

كحلم طفولي ناصع البياض، البياض الروحي الذي لا تشوبه شائبة مرة، كمرارة الواقع الحياتي الذي نعيشه جميعاً، أسير وتسير بي أمطار ورياح وأعشاب، وكل من طاردني أراه أمامي، في الطريق ثمة ورود حمراء تذكرني بنواح النساء على الموتى، مثقل بالدمع، مثقلة التربة بدماء الشهداء.

نحلم عندما نكون شعراء، نكتب أحلامنا لسكان الكوكب الزائل في رحيله إلى المجهول، علّ الشعر يساهم ولو باليسير في وقف تدحرجه وتحطمه وفنائه، ليكن الشعر القنديل المنير والمعتم في آن، المضيء والمظلم في آن، ينير طرقاً مجهولة ودروباً تفضي حتما إلى الأكوان الحالمة القادمة المتشابكة وطفولتها المفقودة، طفولة الكائن البشري المشوهة، بدمار حروب بائسة لا أرى ثمة نهاية قريبة لها.

لكننا نظل نعيش الحياة في حلم لا نهاية له، ذلك ما يدفعنا إليه الشعر، القدرة على الحلم تعني القدرة على الحب، أي إلغاء النقيض المظلم في الكون، إلغاء الكراهية والحقد والبغضاء، ذلك يقترب بنا من الشهداء والأمهات والاطفال، في عيونهم طهارة حزينة تسبق سقوط الدمع،عيون تقترب من البكاء وتحبسه في آن، أتحدث عن الكاهن الذي هرع جرياً من الجبل عندما رأى شجرة تحترق في السهل،عيناه باكيتان حزناً، أتحدث عن امرأة هرعت إلينا جرياً في الصحراء، تحاول إيقافنا ونحن نحاول حرق شجرة في مشهد سينمائي، هذا ما يقدّمه الشعر ليس لبقائنا فقط، بل لبقاء الكائنات الأخرى على الكون أيضاً، الشعر الوثيق الصلة بالعشق، أجمل مبررات وجود الإنسان في الأرض.

ليكن هذا الرحيل، ليكن هذا الغياب، في الرحيل وفي الغياب يتحقق شرط أساسي لبقاء الشعر،هو شرط البراءة، عدم التلوث البشري، نقاء صفحة الشاعر من الألوان الصاخبة صخابة الحياة وشراستها، أسلوب لا يقوم به غير الأطفال، عندما تتحد بهم الطرق مع الموت، والموت هنا الأنغماس في التشوه، ما لا تجيده الطفولة وما يفشل في ارتدائه الشعراء .

ذلك ما يؤكد لنا خلود الشعر، النقيض الذي تحاول طمسه السلطات، العدو الذي يحاول قتله الفاشست، إن لم يكن بالرصاص فبالهراوات وبالفؤوس وبمطارق الحدادين، ومثلما تتسلل إلينا الأيام رتيبة ممعنة التكرار، تتسلل إلينا ليلا مع الريح أجراس حمير الحطابين، وجناة العسل الجبلي والغجر الراحلين عبر الأودية، إلى لا مكان ينتهي إليه تطواف الليل والنهار .

نبحث عن جذورنا البعيدة، جذورنا المفقودة، لكن ذلك يكتشفه إيميه سيزر من جزر المارتينيك، بأنه كان وهماً، عندما رحل من جزيرته البعيدة في الأرخبيل الكاريبي إلى أعماق افريقيا، بحثاً عن جذوره الإفريقية، لينخرط بعدها في الصراع السياسي، بحثاً عن حياة إنسانية لأبناء المارتينيك. البحث هنا ليس البحث العرقي، هو البحث في جذور ثقافتنا الممتدة لآلآف السنين من الأعوام، تلك التي نستمد منها الحياة، ونواصل بها السير إلى عالم تمتزج فيه الأعراق، وتتداخل فيه الدماء، يتغذى الشاعر من هذه الجذور، اذ مجايل سيزر وابن جزيرته الفرنسي سان جون بيرس، تستحيل قراءة شعره وخلق متعة جمال صوره وكشف سحريتها، دون العودة إلى الجزر البحرية التي قضى بها طفولته وصباه في جزر الانتيل الصغرى. العودة إليها كحلم مفقود يدرك الشاعر أنها لن تعود ثانية، وأن ما يكتبه إنما هو أنين فقدانها وألم ضياعها ورحيلها.

كان شعراء الجزر البعيدة قد تحدثوا عن المنفى الجمالي الشعري، الذي حبتهم به الجزر البعيدة في الأقاصي، عبرها قدم شعراؤها الشعر كمنفى جمالي ساحر، يعيش به الشاعر بعيداً عن أكوان الأرض، بذلك تحتدم لغة المواجهة، المنفى يخلق حالة جمالية تكون بمثابة احتجاج عميق اللغة، على جماجم وعظام ملقية على الإسفلت، تنتظر من يواريها التربة دون جدوى، الساحرة التي زارت الكسندر بطل فيلم القربان لتاركوفسكي في جزيرة معزولة عن العالم، وكان يعيش حالة يأس تام جراء إصابته بالسرطان وتعذر الشفاء الطبي منه، الكسندر الذي يقضي ليلة كاملة مع الساحرة يشفى تماماً من السرطان، وجراء ذلك يهجر كل شيء يتعلق بحياته الرغدة في الواقع المعاش، متجهاً الى عالم سحري يرى تاركوفسكي أن ذلك العالم هو الشعر، النقيض لعالم يوفر لك كل سبل الحياة المدنية، ويسلب منك أغلى ما تحظى به وهو الحب.

هذا المشهد السينمائي الموحي لثيو ان جيو بوليس، من فيلمه منظر في السديم :تطارد الشرطة الأطفال المشردين ،كلما رأت الصبية وشقيقها الصغير سيارات الشرطة، يفران خوفاً، فجأة يرى الطفل من بعيد ممثلاً كوميديا له نفس الروح الطفولية التي يحملانها، يتجه إليه الطفل فرحاً، يخبرانه عن مأساة هروبهما من الشرطة، التي تتواجد في كل مكان يذهبان إليه، يرحل بهما في دراجته النارية بعيداً، حتى يصلان البحر، يتوقف بهما فرحاً: لقد نجونا، إنه البحر.

المنفى الجمالي الذي خلقه الشعر في الكون، يتخذه الفاشست منافي سياسية في الجزر القريبة أو البعيدة في آن، لدى شعراء ومناضلي جزر البحر الأبيض المتوسط في اليونان، اتخذ الفاشست من جزيرة ليمنوس سجناً، كان أهم معتقليه الشاعر اليوناني بانيس ريستوس، منها نقل الشاعر لاحقاً إلى منفى آخر في جزيرة ما كرونيسوس، وهي جزيرة لا يسكنها غير المعتقلين والحرّاس، وبها كتب ريستوس اجمل قصائده، التي جاءت تحت عنوان «يوميات المنفى»، واتخذ النظام الفاشي لفرانكو من جزيرة مايوركا، منفى يقذف به كل من يعارض نظامه الفاشي، بحجة إعادة تأهيله النفسي، هناك تذوي حيوات المبعدين شيئاً فشيئاً.

حالة اخيرة أودّ التوقف عندها قليلاً، تتعلق بالمنفي الاختياري فرناو لوبيز، الذي روعته جرائم الاستعمار البرتغالي الوحشية ضد السكان المسالمين في عُمان وصولا إلى الهند، حيث كان هو جندياً مشاركاً في الحملات التي قادها الفونسو دلبوكيرك، ما جعله يهرب لصفوف الجيش الهندي المقاوم لهجوم البرتغاليين في جوا. أصبح فرناو لوبيز لاحقا موقع تفاوض بين الطرفين ومعه عدد من البرتغاليين الهاربين من الجيش البرتغالي. جرى تسليمهم جميعاً وفق شروط تتعلق بعدم تعذيبهم وقتلهم، غير أن دلبوكيرك فور استلامهم قام بنزع شعر كل منهم شعرة شعرة من الجذور، وأمر أن تملأ جروحهم وآذانهم وعيونهم بالطين، بعدها قام بتقطيع اليد اليمنى وإبهام اليد اليسرى لكل منهم، لاحقاً رفض لوبيز العودة بعد تعذيبه إلى البرتغال، وانتهز فرصة وقوف السفينة للتزود بالمياه في جزيرة سانت هيلانة، فاختفى بها وبنى مسكناً ومكاناً متواضعاً للعبادة، مختبأ عن عيوْن الجنود البرتغاليين، فكان اذا لمح سفنهم قادمة أوغل بين الأشجار والحشائش الطوال، مبتعداً حتى لا يراه أحد منهم. لم يتركه البرتغاليون في حاله، إذ أصر ملك البرتغال على رؤياه، لأنه كما انتشر أنه أصبح كالرجل البدائي في حياته. ذهب فرناو لوبيز لمقابلة الملك، فاقترح الملك إيداعه ديراً للرهبان فأبى، ثم أرسله الملك إلى البابا في روما، فتوسل لوبيز للبابا إعادته للجزيرة فأعيد إليها، وهناك بأصابعه الأربعة ويد واحدة، استوطن أرضاً وربى قطعاناً واستنبت نباتاً وعاش ومات بها وحيداً.

تلك الجزيرة هي سانت هيلانة التي أصبحت لاحقا منفى اجبارياً، يرمي به البريطانيون المعارضين لهم في المستعمرات، أي أنها تحولت من منفى اختياري جمالي سياسي لدى جندي برتغالي هالته وحشية الاستعمار البرتغالي، إلى منفى سياسي قسري للاستعمار البريطاني، وكان ممن تحتفظ لهم الذاكرة بالنفي بها قادة الهيئة بالبحرين عبد الرحمن الباكر وعبد العزيز الشملان وعبدعلي العليوات .

البحرين وطن صغير في مساحته،عظيم التأثير السياسي والثقافي على المحيط البحري والصحراوي الملتف حوله، تتشكل حوله أساطير الخلود، وتبتعد عنه أساطير نهاية العطاء الإنساني الرحب، لذلك يصطدم هاجس الموت لدى مبدعيه بما هو أقوى من الموت، بهاجس تجدد الحياة وليس بغروبها المبدعون البحرانيون الذين علّمهم البحر لا محدودية العطاء وغموضه في آن.

٢ – أبناء المزن

رغم أن هذا الجزء من الورقة بالأساس عن علاقة الشعر بالصحراء، إلا أنني أود أن أفتتح الحديث،عن تجربة سينمائية فريدة، لمخرج سينمائي كندي هو فرانك كول، ما هو غريب أن علاقة فرانك كول بالصحراء، جاءت إثر وفاة جده، الذي كان يكن له حباً عظيماً، فلجأ فرانك إلى الصحراء علّه يجد بعض العزاء لديها، لأن الصحراء ومثلما فهم لاحقا هي ما تشكل لديه الإمتداد الطبيعي للحياة والموت في آن.

كان فرانك كول أشد المدافعين عن فكرة امتداد الحياة، معتبراً أن الصحراء هي النفي الرمزي للإنسان بعد انتهاء حياته، وهي تشكل بفضاءاتها الرحبة اللامتناهية

مكانا لاستعادة التراث واستعادة حيوات الآخرين الموتى.

إثر وفاة جده رحل كول الكندي إلى الصحراء الإفريقية على ظهر ناقة، يجوب بها من موريتانيا إلى البحر الأحمر، والرحلة هنا مع مرور الأيام الطويلة تجاوزت رغبة الكشف والمعرفة، التي تحاصر دائما الرحالة والمكتشفين، إلى رحلة حملت البحث عن أهم ثيمات الوجود. اعتقد كول أن الصحراء هي القادرة فحسب على تقديمها للإنسان، ألا وهي ثيمات الحياة والموت.

استمرت رحلة هذا السينمائي المغامر وحيداً، إلا مع كاميراته وأشرطته أحد عشر شهراً متواصلاً، حرص على أن يقطعها وحيداً دون دليل، مواجهاً وحده رموز الحياة باتساعها: الحرية اللامتناهية، الفضاءات الروحية، إرادة البقاء. مواجهاً أيضا رموز الموت والتي مع الأسف تمثلت في الإنسان ذاته، إذ في رحلة ثانية له عام 2000، قدّمت له الصحراء التي عشقها وجهاً إنسانياً قاسياً، عندما اعترضته عصابة في شمال مالي وقتلته في أكتوبر من نفس العام.

هكذا تقدّم الصحراء في مواجهة الأسيجة والجدران، هذان الوجهان المتناقضان، وجه الحياة ووجه الموت، وجه الحرية ووجه الأسيجة والجدران، ووجه الأسيجة هو الذي يسود معظم التجمعات السكنية القديمة، خاصة تلك المواجهة للصحراء، البعيدة عن سياج الجبال، يتجلى ذلك خاصة في الحواضر البشرية، البعيدة عن سياج الجبال، في عُمان مثلا منح وأدم، جدران العزلة تلك أوجدران الخوف كنا ندعوها حجرة أو سور أو حلة، وتكون مقصورة على عوائل متجانسة في العرق، تنتمي لقبيلة واحدة غالباً. الخوف من الآخر أو المجهول الصحراوي هذا، أدى إلى تأسيس منازل دون أبواب أو نوافذ، وكان على سكان هذه المنازل تسلق الجدران دخولاً وخروجاً منها. أما عن شروط التهوية والضوء يكتفى بما نسميه المرق، وهو فتحة صغيرة جداً، تكفي لمرور قليل من الهواء وشعاع من الضوء.

نادرا ما نجد ثيمات تحمل نقائض، وتتغذى بدلالات عميقة متنوعة كالصحراء، ذلك عميق في التراث الشعري العربي، إذ الصحراء هي مكان الشعر الأول، ومكان النبوة أيضاً. ما هو جدير وأسبق لتقديمه في هذه العجالة، الدراسة النقدية الأخاذة للباحث العماني سلام الكندي، والتي حملت عنوان (الراحل على غير هدى، شعر وفلسفة العرب ما قبل الإسلام)، والتي صدرت عام 1988 بالفرنسية، قدمت هذه الدراسة الصحراء كما كتب الفيلسوف آلان باديو، استاذ الفلسفة بجامعة باريس، وطناً للغياب، والشاعر ابن الصحراء إنساناً هائماً يطوي جراحه. يعود إلى الديار بعد شرود غير واضح المعالم، فلا يلقى من أثر الضغائن سوى طلل الرحيل ووشم المنازل تحت الرمال، والشاعر هنا اذن يرى أن الفقد يمكن أن يكون نهائياً، وأن محو الآثار كلي، فالصحراء تضعنا وجها لوجه أمام العدم والحنين في آن.

لقد ألفت الحكايا الشعبية العمانية التيه في الصحراء منذ القدم، التيه الذي يبدأ من خروج الإنسان من بيته ولا يعود إليه، بل يرحل عنه فراراً وهربا كحكاية أمير العيون بالأحساء: ابن مقرب، ابن مقرب الذي تاه بعمُان حتى وصل إلى طيوي، كأنها الجنة الموعودة التي بحث عنها هذا الأمير الشاعر التائه قائلا عندما وصل إليها: طيوي يا نفس طيبي.

إلا أنّ تيهاً آخر اتخذته طفلة عمانية تقترب من الصبا، هي من نعرفها الآن: بنت غربى التي هجرت قريتها المجهولة بحثاً عن أرض أخرى تموت بها، كأن أرض المهد لن تكون أرض الموت، الخروج في كل حالاته هنا يرتبط بعدم العودة ثانية إلى الوطن الجذر، بل الموت بعيداً عنه في أرض أخرى، كالخروج من رحم الأم، وبداية تيه الإنسان في الأرض حتى مماته بعيداً عن تشكّله في رحم الأمومة الأولى.

تذهب طفلة عربية أخرى، هي ما نعرفها الان بكوكب الزهرة، قدّمتها الصحراء العربية قرباناً بالرحيل إلى الفناء في السماء والخلود بها حتى يومنا هذا. أعود إلى هذه الطفلة/ الزهرة لأن عرب الجنوب عبدوا ثلاثة كواكب هي الشمس والقمر والزهرة، هذه الثلاثية هي التي فتحت الطريق لاحقاً أمام الديانة المسيحية لنشر عقيدتها القائمة أساساً على إفراد مكانة خاصة لثلاثية الأب – الأم –الطفل، مثلما يحلل ذلك الاستاذ فاضل الربيعي، ثم أنّ الزهرة العربية هذه هي عشتار البابلية لاحقاً، وهي أفروديت اليونانية لاحقاً، وهي فينوس الرومانية لاحقاً أيضاً، مثلما يذهب الى ذلك الاستاذ فراس السواح .

هكذا نعود إلى الشرق، إلى الجذر، إلى النبع، لندرك كم نحن صدى يتردد في الصحراء، لخيال الشرق الخالد، شرق الأديان السماوية الكبرى، شرق التيه الروحي، بحثا عن حياة في الموت وبحثا عن موت في الحياة.

حقول القتل

ربما ونحن نجري في الغابات تفترسنا الذئاب
ربما نسمع صراخ الغرقى في البحيرات منذ ألف عام
هربا من حروب عبثية زائفة!
ماذا يدور في حقول القتل؟
ماذا يدور في المدن سارقة أحلام الفلاحين ورعاة الإبل ؟
لا أتذكر غير أنين امرأة في الليل تبحث عن ابنها المفقود
أتذكر انتظار الفجر حيث الحزن يسكن الليل
كمن ينتظر موتا قادما مع غياب القمر في الأودية والجبال.
لن أعود اليك أيتها المدن الغبية
أيتها المدن حاملة الكآبة والعدم واللصوص والمشوهين من رداءة الأعماق
أود أن أبقى وحيدا وأعيش كمن يتبع النجم في طريقه إلى بيت لحم
أو كمن كتب مراثي الكون في الصحراء
هرع إليها حافيا واختبأ بها عن الجلادين والطغاة وسارقي حليب الأمهات
من الرضع قبيل الفجر.

سماء عيسى

قصة قصيرة

لا صدعَ في الوداع

كولالة نوري *

ليكن، لا يهمّني من أين أتى، ويبدو انه لا يهمه كذلك، من أين أتيت. كأننا رمشان، أعلى وأسفل لجفن عينٍ واحدة، قُدِّر لهما أن يلتصقا لبرهة، لكنهما أبدا لا يلتحمان.

هذه هي المرة الأولى التي تترك قلبها جانبًا، فلطالما كان قلبها دليلها الخائن، أو الفاشل، أو الغافل في معرفة الحب المناسب، في الزمان والمكان المناسبين.

لكنَّ المرة هذه ستكون علاقة مرتبة خارج الانتظارات المبوبة:

انتظار الصدفة، ثم انتظار التقارب والكلمة – المحرك– احبّك. هذه المرة عبارة: (انا مهتم باللقاء بك) تحرق كلَّ تلك المراحل المبوّبة. هكذا ببساطة، وسينتهي كلُّ شيء، بعبارة لطيفة، أكثر امتنانا (لا لوم ولا عتاب) كأن تكون: كان جميلا أن التقي بك. حفنة من جمال واهتمام معقول. بلا شروط أو مشارط القلب وتفاصيل الوله والغيرة والسهر والتوتر، نحو الاهتمام برجل بشروط آلية.

كان ضخم الجثة، يوحي برجولة واضحة، وجسد جائع لأنثى، أنثى جائعة لرجل. كل تدرّجات اللقاء كانت تسير حسب اتفاقية محددة، في هذه العلاقة خارج دوائر الغرام – مفهومة دون تناولها بنقاش ممل وطويل وذلك بـ:عدم التوتّر والانهيار إذا تأخر ساعة، عدم الانشراح كثيرا، إذا جاء للموعد قبل الوقت بساعة كدليل على تلهفه،عدم المحاسبة إذا كانت القبلة غير حارّة بما يكفي (كما يحدث بين العشاق عادة). تكفي قبلة قصيرة على الخد، بطريقة تنم عن شكر للثقة أكثر من رغبة في الحبيب. قد تكفي في الحالة هذه قبلة على الهواء الفاصل، في مساحة ضيقة بين الخدِّ والشفتين. لا نظرات عميقة ...لا شيء مطلقاً. هتفت:

«يااه ما أهدأ الحياة، هكذا، ولو لبرهة. فلن أكون هزيلة كعقارب الساعة بحيث أن كل حركة في الزمن تطلق (جكة) كمفاصل متهرئة، من الوقوف في محطات العمل والركض للبحث عن الذات.

رددت هكذا في سرها مرة ثانية: نعم سأكون هادئة أكثر، هكذا.

نظر إليها نظرة واحدة، وهو يرحّب بها – ليس برقة – بل بلطف مناسب اقرب إلى استقبال موظف، في دائرة لوفد محترم – فكرت بكلمة محترم قليلا – إن كانت حقا ستحفظ احترامها لذاتها في هذه العلاقة العابرة ؟؟

يعتذر بدون تكلف، أو أسف واضح، عن تأخره بسبب الزحام الشديد. تقبلت اعتذاره بهدوء وابتسامة حقيقية، لأنها ترى بان كل شي يسري بانسيابية اتفاق ضمني، دونما إفصاح معلن.

كانا يبدوان كملاكمين أصابهم الإنهاك من عجلة كانت تدور بهم، وكادت أن توصلهم للجنون. إنها استراحة المحاربين القدامى، حين يصلون إلى قناعة تامة بأن القتال في كل قصة حب – لإنقاذها و شحنها أو ترميمها حسب مقاسات تعجيزية – مجرد هدر للسلام .

حسنا، الخطوة الثانية، قبلة بسيطة على الشفاه، كعرفان بانْ لا خيبة أمل. أي لن يكون هناك انجراف في المشاعر، وانَّ كل شيء على ما يرام، الخطة ـ وليس للقلب شأن بتلك القبلة.

انهمك في قيادة السيارة بتركيز، كجزء من متطلبات السلامة، مبتسما لمرتين لا أكثر، وهو ينظر إليها مردداً في الأولى: «إذا، ها نحن»

وفي المرة الثانية: «مرحبا بك»

مبدياً سعادته، في انَّ يجد الطَرف الآخر، مستوعبا تماما، تفاصيل هذه الرحلة المنفردة المجردة.

فتحا باب الغرفة، كان يبدو واثقاً، بل طاغياً بحضوره. كان نبيلاً حين طلب منها بلطف أن ترى المكان، وليكن لها قرار البقاء، او اختيار مكان آخر. أومأت بآلية: «لا بأس جيد».

ولم تكن حقا مهتمة للتفاصيل الدقيقة، للمكان فقد سبق وأن بعث لها صور المكان.

سألت، إنْ كان هناك إبريق للشاي، أو طبّاخ صغير أو ثلاجة حتى.

قال لا – المُكيّف فقط ما يلزمنا.

أومأت بلا أبالية: نعم، صحيح، فكرت، وهل أفكر بالطبخ أو تخزين الثلاجة بالمأكولات، مثلا. وكأنني أفكر بالبقاء طويلا– شعرت بارتباكها من سؤالها الذي وجدته غبيا بجوابه المناسب.

فكرت– لا تهمُّ التفاصيل الرومانسية، أو جلسات الشاي ، مع حديث عميق، فكل شيء تريده سطحيا قيد توثيق العلاقة المطرية هذه.

لم تلحظ ساعة على الجدار، أضافت في سرها «هذا يفي بالمرام أيضا، كي لا تقع عيني على الوقت، حين نبدأ تجربة إثارة الحياة في المفاصل. ولكي لا يذكّرني الزمن بما يحدث هنا، وكما قال هو، بعد يومين، سأنسى كل ما يجري هنا. رددت: بعد يومين سأنسى كل ما يجري هنا.

ما أسهل الحياة هكذا، ما أهدأ رأسي حقا. كلما أرادت التعمق أكثر في عينيه الكبيرتين، نفطيتي اللون، والمثيرتين فعلا، والمليئتين بتواريخ عابرة، لها في حياته. تحركت عجلة قلبها، وأصدرت نبرة خافتة لعاشقة. فأوقفتها بصمود وثبات، على مبدأ الّلا انتماء لهذا الرجل، وهو أيضاً، كان على نفس نهجها، أكثر ثباتا، ويزداد احتراما لها(لا عشقا) كلما تأكد أنها معه، تشكلت تلك الثنائية الهاربة، خارج المكان والزمان، أو خارج وجودهما الواقعي .

استمتع بلحظته كما لم يستمتع من قبل، فقد وهبت نفسها له وتقبلت عطاءه الكامل، دون أن تكون قلقة من الخيبة. لأنَّ الخيبة قدرُ القلوب، أكثر مما تكون قدر الأجساد المتوثبة للبدء من جديد.

قبل ان يفتح الباب للخروج، أعطاها قبلة، تشبه قبلة العرفان الأولى. استسلمت لقبلته، دون امتنان أو صدٍّ. دون صداع ولا صدع في الوداع.

* شاعرة وأديبة من العراق

ضحك ولعب وجد.. والكثير من الحب في خطة كيوبد

زهراء المنصور

تتحقق متعة الحضور إلى المسرح حين تذهب بلا تحضير أو خلفية مسبقة إلى عرض مسرحي، وتألفه فوراً، وتنسجم مع أحداثه. يضاهي هذا الشعور متعة الفوز بجائزة غير متوقعة وأنت تمشي في طريقك إلى مكان ما. وجدت هذا الفوز مؤخراً في العرض المسرحي «خطة كيوبد»، الذي تجتمع فيه عناصر مشبعة عدة أوصلت مضمونها بخفة لا تتكرر كثيراً في استجداء الضحك أو اجترار النكت والمواقف التي يعرفها الجمهور، أو يتوقعها؛ فلا تُضحكه، ويخرج بنتيجة عكسية ربما.

«كيوبد/ cupid " هنا، أو رسول الغرام الذي عرف في الأساطير الرومانية القديمة، عاد من جديد في هيئة غير التي يعرفها العشاق في منتصف شهر فبراير أو طول السنة، حين يظن أي اثنين ارتبطا ببعضهما أن سهم كيوبد قد نفذ صوب قلبيهما؛ ليجتمعا إلى الأبد، كما تصور الفكرة المعروفة لإله الحب هذا. وقد يكون الأمر بهذه السهولة أحياناً، لكنه غالباً: لا!

ذلك إنه الواقع الذي تتكسر عنده أحلام الحب الهشة. وكيوبد، ابن آلهة الحب والجمال "أفروديت" هنا لا يظهر كصبي صغير بجناحين وعينين معصوبتين، ليصوِّب سهمه العابث نحو أي اثنين ليقعا في الحب الأبدي، كما تحكي القصص الأسطورية، بل يظهر بالشكل البشري؛ وهو كهل متقاعد، امتهن وظيفة تشبه ما يفعله "أسامة منير"، المذيع المصري الشهير بحل مشاكل الشباب العاطفية في برنامجه الإذاعي؛ يتحدث بذات الهدوء، وبنفس نبرة الصوت المطمئنة لمتصليه من الجنسين. الفارق فقط أن كيوبد المتقاعد خارج –فعلياً– عن الخدمة، وكل ما يفعله هو محاولات استرجاع مهارته القديمة، وهذا لا يحصل بالصورة التقليدية المعتادة، لكنه يقرر التدخل حين يخص القرار ابنته الوحيدة وابن أخيه الذي قام بتربيته ورعايته منذ الصغر.

وقبل الدخول في تفاصيل "خطة كيوبد"، تجب الإشارة إلى أن العرض قدم في قاعة يوسف إدريس في مسرح السلام بالقاهرة، حيث تم افتتاح القاعة بعد سنوات غلق طويلة، وغير مبررة، لتقديم العروض ذات خصوصية الجمهور المحدود، وهذا يعني أيام عرض ربما أطول من العروض في المسارح الكبيرة التي تتسع لمئات، ولكن في الحالتين تكون الجودة هي معيار استقطاب الجمهور من عدمه. وتأتي هذه القاعة بجهود حثيثة من الفنان محسن منصور، مدير المسرح الحديث، الذي تبدو لمساته واضحة في التحديثات التي طرأت على مسرح السلام بشارع القصر العيني. وتقديم العروض في قاعات، أو أمكنة محدودة الحضور، له اشتغالاته واستخداماته لو كان للمخرج وعي بماهية عمله، ولمَ عليه اختيار مكان آخر غير العلبة الإيطالية المعروفة، وما التأثير الذي يمكَن أن يحصل عند الجمهور؟ ولا يمكن إغفال أن اختيار أماكن العرض الصغيرة في كثير من العروض، تكون خاضعة لمزاج المخرج في التغيير وحسب؛ رغبة منه –ربما– في التفرد والمغايرة، لعل هذا يجعل من عمله واسمه المقترن به مميزين، وقد لا يحصل أي من هذا، لأن العمل ببساطة لا يحتمل أي إطار غير الشكل المعتاد.

القرب له حميميته التي يرغب المخرج أن تشتبك مع الجمهور، ولو بشكل مادي أحياناً، فتكون المسافة مبررة جداً، إذ تقرب العرض من المتلقين الذين يشاهدون المشاعر الصادقة في تعابير الممثلين، بين كوميديا خفيفة لأحداث واقعية، ولكن مشتبكة مع الخيال، في لعبة مسرحية تمتد لساعة من متعة لا تمل، وحيث إن كيوبد هنا قدم في أربع شخصيات رئيسية متواجدة معظم وقت العرض في المكان، وطبيعة الحدث التي لا تتطلب الكثير من الحركة. كيوبد وزوجته "هيرا" التي أتت بلا خوارق، أو ما يميز أنها زوجة إله الحب الروماني! تمثل نموذج الزوجة التقليدية؛ الحبيبة، الغيورة، الأم، والحماة أيضاً، والتي أنقذ زوجها المسرح من موهبتها الميلودرامية المفرطة! والخطيبان: الابنة وابن الأخ في شكل العلاقة المعتادة بين أي طرفي حب بعد جذب وشد، كلها مشاعر لا تخلو من الظرف المحبب والنص البسيط في فكرته وتنفيذه، وبالتأكيد لا تقرن البساطة هنا بعدم العمق، بل بعدم التصنع الذي يثقل أي عرض على المسرح، ولو كان مكتمل الأركان.

في "خطة كيوبد"، تجتمع عناصر عديدة من أجل قيام عرض مشبع؛ أداء سلس، وإيقاع متزن محكوم ومنضبط، حيث لا مجال للملل على الإطلاق، وانسجام جماعي يشعر به الجمهور الحاضر، وقبلها أداء فردي متميز بتمريرات الممثلين لبعضهم، كلعبة فريق واحد في مباراة كرة قدم ممتعة، ظهر في الأداء الجماعي قطعة واحدة غير قابلة للمفاضلة بين ممثل وآخر، والممثلون الأربعة حريصون على "الهارموني" الجميل الذي يحفز كل منهم على إظهار أفضل ما لديه.

وكيوبد، حينما يقرر العودة إلى عمله، لا يبدو بتلك المهارة التي عرف بها، لكنه يحاول أن يستخدم خبرته القديمة في رأب الصدع بين الحبيبين دون جدوى، فيقرر الهدم، وإعادة البناء من جديد، حيث يطلب من "هيليوس" التقدم لابنته "سيلين" مرة أخرى، ليتعارفا، وتتم خطبتهما كأنّهما لم يعرفا بعضهما من قبل، حتى يتأكد الطرفان المعنيان، ويتأكد هو بوصفه ولي أمر الخطيب والخطيبة، أنهما صالحان لتكملة الحياة معاً، وأن رابط الحب يمكن أن يكون بيتاً دافئاً وحنوناً. ومن هنا تأتي المفارقات، بسبب المعلوم وغير المعلوم لدى الخطيبين، ولدى الأم والأب أيضاً، وتكون الكوميديا التي أداها الجميع على خط متواز من الحضور الجميل، وفي انسجام واضح بينهم.

لَم أفهم الفكرة اللطيفة التي دعت المؤلف عبدالله الشاعر إلى الاستعانة بشخصية "كيوبد"، وتسمية الأبطال بأسماء آلهة إغريقية ورومانية أخرى، مثل النور والضوء والقمر، أو تحمل مهابة معينة لشخصيات ذات تاريخ! بينما لو سمّاهم المؤلف بأسماء محلية –على سبيل المثال– فربما تعطي بعداً أعمق لارتباطها بـالواقع ومشاكل الواقع.لكن المؤلف ربما رغب في مزج أيقونة الحب في مسرحية تناقش قضية الحب ومتعلقاتها، وطالما الأمر كوميدي، فالشكل الفنتازي مقبول، ولن يكون محل خلاف.

ورغم أن الجمهور تقبل الفنتازيا في وجود كيوبد بذاته على الخشبة، وضحك من فكرة التقاعد والعودة إلى العمل، مع كامل المفارقات المولدة للكوميديا، إلا أن العرض أدخل الحضور في مزاج حزين، بسبب الدموع الصادقة التي كانت في عيني كيوبد وزوجته، بعدما شعرا أن الطريق قد ضاق بالأبناء. فالحريٌّ بعرض خفيف في مناقشته لفكرة الحب، بدون اجترار الشخصيات لأي شكل تراجيدي، ألا يورط الجمهور في خانة الاستعطاف، حتى لو لم تلتقِ السبل بين الحبيبين.

ولا أميل إلى الإشادة المَجانية العاطفية، التي نخرج بها بعد عرض مسرحي بنهاية سعيدة نالت إعجاب الجمهور. لكن من باب الأمانة وإعطاء الحق لطاقم هذا العرض المتميز، لا بد من الإشارة إلى حضور الممثلين وأدائهم –على أقل تقدير– بحكم مسئوليتهم أمام المتلقين في التجسيد كما يراها مخرج العرض أحمد فؤاد، وأيضاً بما يشبعهم كفنانين مسرحيين متمكنين. الممثل عبدالمنعم رياض ذو الحضور العالي الملفت على المسرح، وأداء متقن لأكثر من شخصية، مثل دوره في عرض "أفراح القبة"، وما تركه من بصمة مميزة، وكذلك دوره في مسرحية "حلم جميل" بديلاً مؤقتاً عن الفنان القدير عزت زين، حيث يؤكد لنا رياض في الأدوار التي "تلبّسها" في آخر عروضه المسرحية، أنه يستوعب كل الشخصية، ويلعبها بكل طاقته، بدون أن يترك ثغرة أو مستمسكاً، ليقنع الجمهور أنه كيوبد هنا، و"سرحان الهلالي" في القبة، والباشا في "حلم جميل"، في متعة أدائية، ولعب في التنقل بين شخصية وأخرى، لكنه لعب محترف ومتمكن.

كذلك كانت الزوجة نوال سمير، التي لم يسعفني الحظ أن أشاهد لها أعمالاً سابقة، لكن هذا الحضور المتمكن لا يمكن أن يُبنى إلا من خبرة جيدة وتهيئة كافية، للتحولات في المشاهد المتلاحقة، وأيضاً مع الإحساس بالقرب الشديد من الجمهور، وتفاعلهم الحي والمخلص من العرض. أما كريم الحسيني، الذي ربما كان حضوره في الدراما بأدوار متعددة، يفوق أدواره المسرحية، لكن هذا الدور أطّره كفنان متمكن قادر على الأداء المرن، أبرزها المسرح في هذا الدور، ومع هذه المجموعة التي لا يحاول فيها فرد تخطي الآخر، أو محاولة الإشعاع بعيداً عن الثلاثة الآخرين. لكن المفاجأة الأكبر كانت في اختيار البنت أمنية حسن، ذات الموهبة الطاغية؛ حضوراً وغناء –الذي شاركها الحسيني فيه–، والأداء التمثيلي في دور الفتاة البريئة ذات الصوت العذب والتصرفات الطفولية، ثم التنقلات مع خطيبها إلى حيث تتأكد أن خيارها صحيح وفي مكانه، لتنتهي نهاية سعيدة وواضحة يتمناها الجمهور.

عنصران أساسيان آخران: الديكور البسيط المبهج والمسيطر على صغر المكان، ثم الإضاءة المتسقة جداً مع الحدث المتسارع، رغم الثبات النسبي للديكور، والعنصر الذي يعد ممثلاً خامساً في العرض هو الموسيقى الحية التي تعزف وراء الديكور، لكن بشكل يمكن أن يُرى؛ كان متابعاً لأداء الممثلين، ومنصتاً للحوار ليعرف توقيت التداخل فيتداخل ليثريه، عدا أن الموسيقى الحية لو وظفت في العروض بهذا الشكل المصاحب لأصوات جميلة طربية وأدائية ستنقل العرض إلى منطقة أخرى عن السردية الرتيبة، والتي –بالمناسبة– لا تنطبق على هذا العرض، لسرعة التنقلات وضبط الإيقاع بالشكل المناسب.

ومناقشة موضوع الحب في شكله هنا قد يقرن بالبساطة في الطرح، وهو بالفعل كذلك، لكن أهميته في عرضه بدون رتوش أو تعديلات تثقل التركيز نحو الهدف. علاقات الحب قائمة، وستقوم طول الحياة، لكن هذه العقبات الواقعية التي شهدها طرفا العلاقة، وبيّنا أمثلة شائكة في كيفية انتهاء العلاقات العاطفية قبل أو بعد الزواج، وكله مرهون على الأرضية التي إما أن تعبر إلى بر الأمان بكثير من التفاهم والقبول والتنازلات، وإما أن لا تكمل لأسباب لا تعد حقيقة، ومصطنعة، حين لا يكون أحد الطرفين أو كلاهما مخلصاً ليكمل في العلاقة. لذلك من المهم أن تكون "خطة كيوبد" بهذه التركيبة التي تجذب الجمهور، حتى وصل عدد عروضها لما بعد مائة ليلة عرض.

أخيراً: يمكن لعرض "خطة كيوبد" أن يكون عرضاً متنقلاً في مسارح ومناطق أخرى من الوطن العربي، في قاعات صغيرة، أو خشبات مسرح كلاسيكية، ويكون مصدراً لطيفاً لإعادة النظر في الأمور، والتفحص في زوايا أكبر، وإعطاء من نحب فرصة أخرى للحب، ربما تنجح خطة كيوبد في مرة ما!.

«تويتر» لا يصنع كاتبًا

لا أنكر أني اكتشفت بعض النصوص الروائية الجيدة خلال قراءاتي مؤخرا –رغم قِلّتِها– ما أدهشني فعلا، لكن لنكن صرحاء أمام أنفسنا ونعترف أن لغة مواقع التواصل الاجتماعي سيطرت أو تكاد تسيطر على النص الأدبي وتقضي عليه.
القاعدة الأساسية لتويتر هي أنه واحد من مواقع التواصل الاجتماعي، وهي مواقع تجعلنا نتفاعل مع مستخدمين آخرين، وبهذا يمكننا أن نستفيد منها لتسويق منتوجنا سواء كان أدبيا أو تجاريا أو أيا كان.

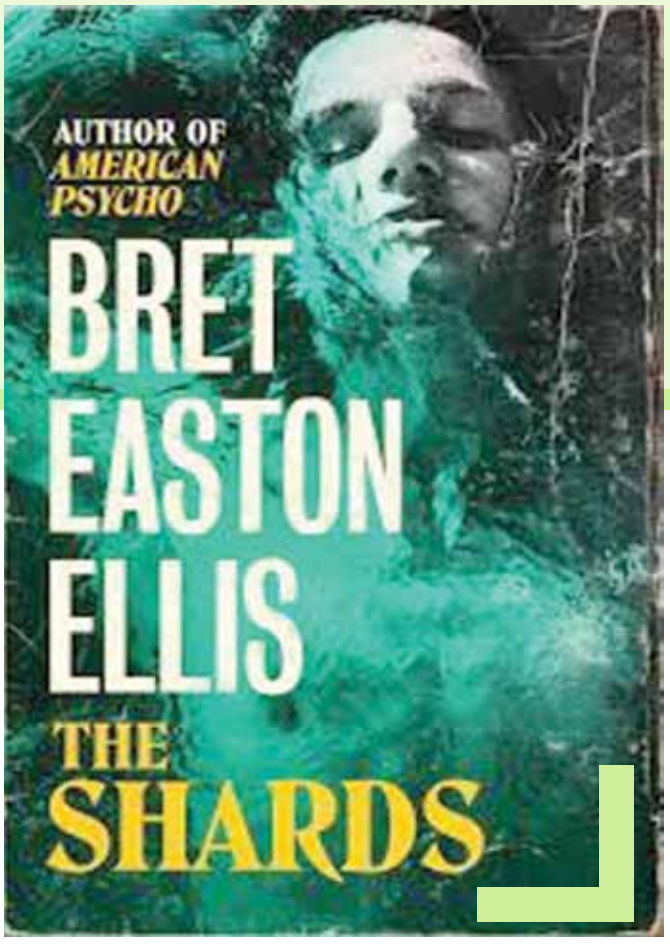

د.بروين حبيب

تويتر منصة مهمة وجيدة للتسويق لكتاب، لكن وفق رأيي الشخصي يستحيل بمقاييسها اللغوية أن تصنع كاتبا.
الجمل القصيرة من أجل الإخبار، تبقى عبارات مفرغة من جماليات المعنى التي يجب أن تتشبّع بها لغة السرد. بيتُ شعر واحد قد يكون تغريدة ولكنّه قد يذهب بقارئه إلى المعنى غير المقصود حسب الحدث الطاغي على المادّة الإعلامية. ومع هذا يقول البعض أن تويتر يناسب فقط شعراء الهايكو البارعين في كتابة أشعار جميلة في منتهى القِصر.
بإمكان تويتر أن يكون مرجعا سريعا لوسائل الإعلام باستخدام "هاشتاغ" وهذا ما يحدث عادة، ما يجعله أسرع وسيلة إعلامية على الإطلاق، لكن القضبان التي يسجن بها عصافيره المغرّدة، تولّد كُتّابا قلقين، يفتقرون لأنفاس طويلة تناسب نصوصا يمكن أن تحضن حياة بأكملها.
الرافضون لهذه النظرية يعطون أمثلة مثل سلمان رشدي الذي كان رافضا تماما لشروط تويتر القاسية واللامنطقية ولكنه دخل تويتر ليصبح "فضاءه المفضل" بعد أن أصبح خروجه للعلن يشكل خطرا عليه، كما يعطون مثالا طريفا عن الكاتب برات إيستون إيليس الذي وفق أحد النقاد «يقضي وقته في مشاهدة الأفلام والمسلسلات وقصف زملائه مثلما فعل مع الكاتبة الكندية أليس مونرو حين نالت جائزة نوبل، إنه "مصاص دماء حقيقي" يخرج من تابوته فقط لينقض على إحدى ضحاياه على تويتر».أشهر الكتاب هاجموا تويتر تحديدا عند إطلاقه، مثل غابرييل غارسيا ماركيز، مارغريت آتوود، هاروكي موراكامي، وباولو كويلو، وغيرهم كثر، وإن استثنينا من الذين ماتوا فإن الأحياء انضم أغلبهم لهذا الفضاء الأزرق، وانضم لجماعة المغرّدين.
لكن المشكلة ليست هنا، سواء استعان الكاتب بتويتر ومواقع التواصل الاجتماعي ليثبت حضوره اليومي، ويروّج لأفكاره أو لا، فالمشكلة أصبحت كامنة في الأدباء المغرِّدين، أو بالأحرى أولئك الذين صنعتهم مواقع التواصل وأصبحوا "مؤثرين" وكأنّ ما ينقصهم أو بالأحرى ما يعطيهم شرعية ما هو إصدار كتاب يجمعون فيه "الهراء" الذي ينشرونه يوميا لمتابعيهم، ويحتفلون بإصداره مع توقيعه، ببيع أرقام مذهلة تجعل أكبر وأشهر الكُتّاب الحقيقيين، يصابون بالخرس من هَول ما يرونه بأم أعينهم.
بين الإغراء والبغضاء يقع الجميع رهينة هذه الشبكة الاجتماعية الوهمية، التي من النادر أن يصمد كاتب أمامها، فقد يدخلها بحثا عن الإطراء بكل بساطة، بنشر مقال كُتِب عنه، أو صورة له خلال توقيع، أو مقطع من مقابلة له على إحدى القنوات التلفزيونية، إنها دعاية شبه مجّانية بأدنى عدد من الكلمات، ومع هذا بإمكانها تضخيم "الأنا" وجعلها تذهب في اتجاه غير متوقع.
نقرأ نصوصا عرجاء، تتعثّر كلماتها بأخطاء غير مقبولة، بلا وزن، بلا إيقاع داخلي، بلا أي إدهاش في المعنى، يسميها أصحابها شعرا، نقرأ أيضا نصوصا تشبه الحكايات العادية التي نسمعها في الشارع وفي المقاهي، بلغة ركيكة ومشوّهة، تتخلّلها عبارات من

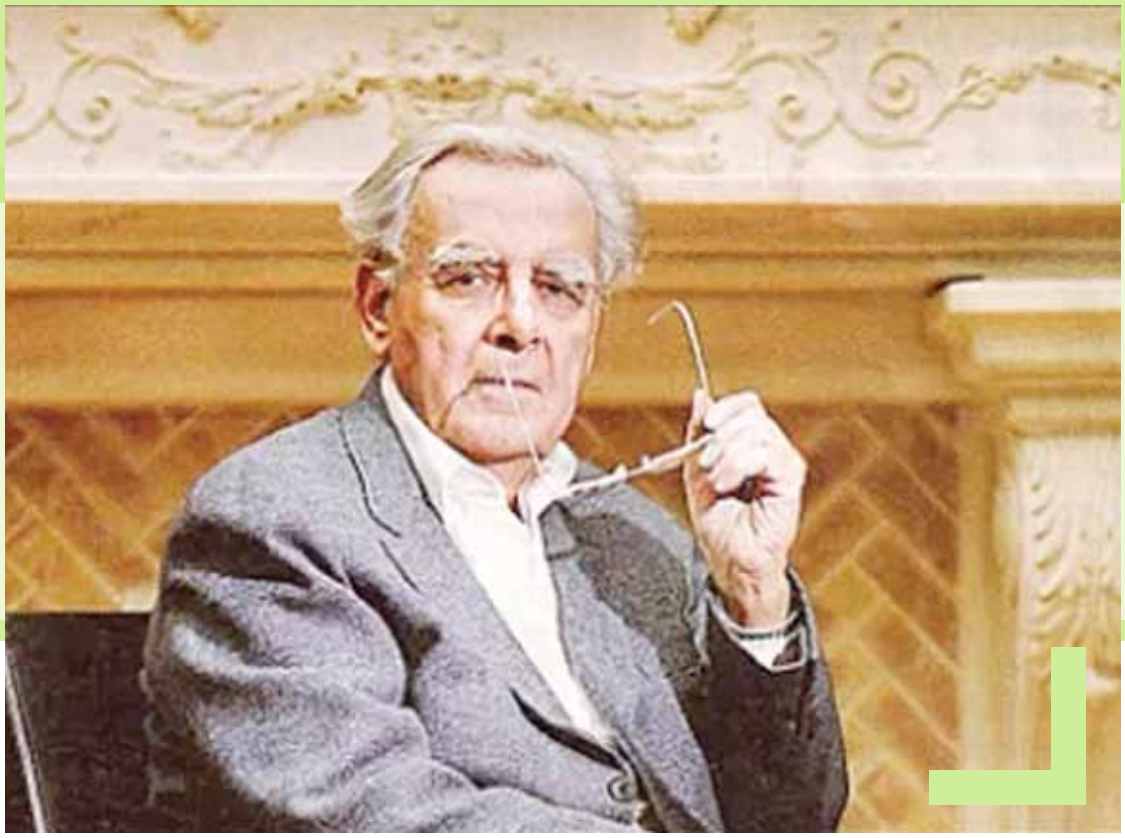

اللهجات المحكية، وهي للأسف النصوص التي تنال أكبر عدد من "اللايكات" وعبارات الاستحسان، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما على تردّي مستوى التعليم عموما للمتابعين الذين سمحت لهم مواقع التواصل الاجتماعي على إيجاد ما يناسب مستواهم المتدني، كما سمحت لهذه النماذج الضعيفة بانتحال شخصيات كثيرة منها شخصية الكاتب أو الشاعر. من جهة أخرى تأخّر الكُتّاب الجادون باقتحام هذا العالم، أذكر مثلا أن أحدهم كتب على صفحته فايسبوك: "تويتر مغامرة صعبة لا يمكنني الاستمرار فيها، لقد غادرته". نفس العبارة تقريبا قرأتها عند إحدى الشاعرات قائلة: "هل يجب أن أكون عارضة أزياء لأبقي حسابي إنستغرام شغّالاً؟".

ترى ما الذي لم يستوعبه سادة الحرف لمجاراة من هم أقل موهبة ووعيا منهم؟ ولماذا رغم تجاربهم الأدبية النّاضجة، وحضورهم الجيد إعلاميا يفشلون في سباق الحصول على عدد أكبر من المتابعين؟

يعطينا نجم البرامج الثقافية الفرنسي برنار بيفو الجواب: "التغريدات هي برقيات غير مختومة، وهي تتطلب الدقة والإيجاز فقط". إبن السابعة والثمانين لديه مليون متابع، وهذا الرقم لم يبلغه أشهر كاتب فرنسي حاليا، غيوم ميسو الذي يتابعه سبعين ألف وخمسمائة شخص، ولا إيزابيل أللليندي البعيدة أيضا عن المليون، والأمثلة غير قليلة إذا ما أردنا أن نقارن بين كبار الكُتّاب وكُتّاب السوشل ميديا.

الأمريكي بريت إيستون إيليس الذي يصفه النقاد بأقسى الأوصاف الشريرة، يعتبر تويتر "مختبرا أدبيا حقيقيا" حتى أنه طلب من متابعيه أن يقترحوا نهايات لإحدى رواياته، فيما هناك كاتب آخر هو تيري كروزيت أنجز كل روايته على شكل تغريدات بمعدل 5200 تغريدة في خلال سنة وأربعة أشهر ثم أصدر روايته. بعدها بسنة دخل تجربة جديدة تماما حيث انقطع عن العالم فاصلا الأنترنت لمدة ستة أشهر وكتب روايته "أنا غير متصل" وهو بذلك أرسل رسالة قوية للمتفاعلين عبر الشبكة وهي أن الكاتب يكون أكثر انتاجا حين يكون غير متصل، مشيرا إلى أن جودة النص تكون أفضل في حالة الابتعاد عن الأنترنت ومواقع التواصل، مع أن الأمر صعب تطبيقه في زمننا، فالعالم الأدبي صنع لنفسه مكانا على فايسبوك وتويتر واسنتغرام، للترويج والتوسُّع، أما ظهور النوع الهابط وطبقة من القراء السطحيين عالميا فهي من الظواهر التي قد لن تدوم، لأسباب عديدة أولها أن هذه الشبكة حفّزتنا جميعا على الكتابة، ونحن لا نزال في بداية التجربة قبل بلوغ مرحلة النضج، فكل هذه الأجيال الجديدة التي تفضل التخاطب كتابة، حتما ستطوّر نفسها، ولن تتوقف عند هذه البدايات.

تمنحنا هذه المواقع أيضا فرصة كتابة أفكارنا فورا، ولهذا يمكن اعتبارها أجندة جيدة لتدوين وتخزين كل الأفكار التي تخطر على بالنا دون الخوف من فقدانها بسبب إيقاع الحياة وانشغالاتها. أغلب آثارنا يتم توثيقها، وهي باقية ما دامت الشبكة تعمل.

من جهة أخرى تقول إحدى كاتبات "السوشل ميديا" أن أهم نقطة إيجابية في هذه المواقع هي التشجيع الذي لاقته من متابعيها، وقد أدركت بعد نشر كتابها الأول أن النقد في الصحف كان أقسى مما توقعت، لهذا فهي تنوي إصدار كتاب ثان أكثر اتقانا، كشكل من أشكال التحدي.

على الشعراء أيضا أن يكونوا أكثر امتنانا لهذه المواقع، فقد نفضت الغبار عن شعرهم الذي مرت عليه فترة ركود طويلة حتى أصبح أكثر نتاج مرفوض من قبل دور النشر والقراء سواء.

هذه أسباب كافية لبروز أدب تويتر وانستغرام وفايسبوك. صحيفة النيويورك تايمز ابتكرت مصطلح عصر ال instapoets ، ففي الوقت الذي كان فيه الشاعر يحلم فقط ببيع طبعة من كتابه تتألف من خمسمائة نسخة، أصبح من الممكن بيع آلاف النسخ لثلث متابعيه إذا كان نشاطه جيدا على مواقع التواصل.

وفي الأخير لا بد من قراءة ما كتبه محرر في مجلة الشعر الأمريكية: "هذه المنصات رائعة للشعراء الذين همشتهم الثقافة السّائدة".

والأمر نفسه قد ينطبق على فنون كثيرة كانت تحتضر في الماضي القريب لولا ظهور هذه المواقع التي منحت فرصة للجميع للتعبير بكل لغات العالم. والصراحة الأدب "طلع كسبان ومش خسران" عكس كل توقعاتنا.

الأب الأول

يقول ابن المقفع إنا:»وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجساماً و أوفر مع أجسامهم أحلاماً، وأشد قوة، وأحسن بقوتهم للأمور إتقاناً، و أطول أعماراً، و أفضل بأعمارهم للأشياء اختباراً»

(الأدب الكبير ص٦٣)

حسين آل ربيع

يقترح ابن المقفع نوعين من العقل: العقل الذاتي والعقل الصنيع، ويفرق بينهما عبر المقارنة بين الأرض الطيبة والأرض الخراب لكنه لا يذهب أبعد من هذا الوصف المقتضب. يشير عبدالله الغذّامي في كتاب «النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية»، الى أن المتتبع لكتابات ابن المقفع سيجد العقل الصنيع وحده ولن يجد العقل الذاتي الحُر المنتِج للمعرفة. ذلك لأن ابن المقفع يرى أن أسلافنا الأوائل قد كفونا مؤونة التجارب والتفكّر، وأننا معشر المتأخرين كل مانحتاجه هو أن نحفظ عن الأوائل حكمتهم التي سيتولى ابن المقفع تحفيظنا إياها، وهذا هو العقل الصنيع الذي سيمتدحه ابن المقفع ويعليه على حساب العقل الذاتي الذي سيختفي تدريجياً. ولأن الأوائل يحبون الخير لنا لم يخفوا الفضائل العقلية التي أحرزوها عنا فهم مازالوا يتفضلون بشيء منها علينا، يقول ابن المقفع:»وجدناهم لم يرضو بما فازوا به من الفضل الذي قسم لأنفسهم حتى أشركونا معهم في ما أدركوا من علم الأولى والآخرة فكتبوا به الكتب الباقية، وكفونا به مؤونة التجارب والفطن» (الأدب الكبير ص64)، وأما نحن فـ»منتهى علم عالمِنا في هذا الزمان أن يأخذ من علمهم، وغاية إحسان محسننا أن يقتدي بسيرتهم...ولم نجدهم غادروا شيئاً يجد واصف بليغ في وصفه لم يسبقوه إليه» (الأدب الكبير ص65).

ويذكر الغذّامي في ذات الكتاب أن هذه المقولات ليست شاذة أو شخصية، إنها مقولات تمثل عمق النسق الثقافي العام، كانت هذه الأنساق سائدة في الشِعر والأدب والبلاغة، ومنها جاء اختراع الشاعر الفحل وهو أخطر المخترعات الثقافية لأنه جاء على أساس طبقي «طبقة فحول الشعراء»، وجعل مصطلح الطبقات للشعراء حصانة «ثقافية وسياسية من حيث ارتباطهم بالسلطان حتى إن شاعر السلطان سيكون أمير الشعراء» (النقد الثقافي ص132). وعلى إثره صار للألفاظ طبقات والمعاني صارت طبقات فيها الألفاظ الشريفة والأصيلة والأدنى، وحتى الرواة طبقات بل حتى الشحاذة طبقات فيهم من لايأخذ الأعطيات إلا من أصحاب الجاه والوجهاء. وقد ارتبطت الطبقة بعنصرين متلازمين هما عنصر الفحولة وعنصر الأقدمية، «الطبقة الأرقى هي الأقدم وهي الأفحل، وهذا حسم الأمر منذ وقت مبكر ضد الحاضر والستقبل، وضد الآخر الضعيف والشعبي وغير الشعرري والؤنث» (النقد الثقافي ص132).

وبما أن الأوائل –كما مر بنا– أضخم أجساماً وأرجح عقولاً فهم بالضرورة النسقية أعلم وأكثر حكمة. «هذا تصور نسقي متجذر حتى لنجد المثل الشعبي الذي يقول: أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة، فالأكبر هو الأعلم. ولما تعرَّف أسلافنا على أرسطو وصفوه بالمعلم الأول وليس لمن يأتي بعده من مطمع إلا أن يكون المعلم الثاني بعد أن تخصص الأقدم بالأفضلية الطبقية المحسومة» (النقد الثقافي ص133).

في سلّم الطبقات عند العرب تأتي القبيلة في موقع أسمى من المدينة، وشعراء البادية أرقى من شعراء القرى والمدن، تتجذر القبيلة وتنغرس أكثر في لاوعي العربي، فيحتل الجذر القبَلي موقعاً مهماً حتى يومنا هذا، ومن هذا المفعول النسقي المتأصل نجد عبارات من قبيل (فلان ابن أصول) و(فلان لا أصل له). حتى أن ابن عربي وهو ابن بيئته وزمانه يصف الحروف على أنها قبائل وطبقات ولذا تتفاضل ويتشرف بعضها عن بعض.

يقارب الدكتور علي الوردي تلك الظاهرة من منظور اجتماعي ويرى أن الشاعر العربي المتمدن حمل معه الكثير من التقاليد الجاهلية ذلك لأن العربي قد احتفظ بكثير من قيم البداوة بالرغم من تحضره، يقول الوردي:» من مشاكل المجتمع العربي بشكل عام أنه ذو شخصية مزدوجة، فهو حضري وبدوي في آن واحد.

ومرد ذلك الى متاخمته للصحراء واتصاله بها. فالبادية إذن تمده بالقيم البدوية جيلاً بعد جيل. وكلما حاول المجتمع أن يستكمل تحضره جاءته موجة بدوية جديدة فعرقلت محاولته قليلاً أو كثيراً. ولهذا صار الشعر العربي مزدوج الشخصية مثل مجتمعه.» (أسطورة الأدب الرفيع ص102)

ومن أشد القيم التي تجذرت عند العربي وتمسكوا بها هي القيمة العليا للأب الأول القبَلي العليم والمتسّيد، وبذلك «يتعزز إذن مفهوم الأول بوصفه الأب الأصل القبَلي والمعلم والأكمل، لذلك يجري القياس عليه والتسليم بمعطياته وهذا سبب العودة الى النموذج الجاهلي مع مطلع العهد الأموي لأنه النمط الأبوي القبَلي، ويكون ديوان العرب هو السجل لهذه الأصول النسقية. ولقد ارتبط مصلح (الأوائل) في الكتابات العربية بمعنى (الطبع) والعمود، عمود الثقافة، بوصف ذلك علامة على الأصالة والفحولة، والطبع والعمود يعنيان تحديداً النموذج الجاهلي بخصائصه الفنية وما يتضمنه من قيم قبَلية شعرية» (النقد الثقافي ص134)

في النقد الأدبي المعتاد الذي ألفناه ينصب النقد على البلاغة والجماليات ومدى جودة الوصف، هذا النوع من النقد يكتفي بنقد السطح دون التعمق في الأنساق التي يحملها النص والتي قد تؤدي الى تأصيل مفاهيم وأنماط عامة قد تسربت للذات العربية الثقافية ومنظومة السلوك الإجتماعي العربي. وحين تمر تلك الأنساق الثقافية التي تحملها النصوص الشعرية بين دفتيها بدون نقد فعال يُذكر تتضخم الأنا، فيتملك الشاعر مثلاً أو البلاغي أو الفقيه أو غيرهم صفاتً متعالية، منزّهة عن النقد وبعيدة عن العيوب ويكون النقد فيها تبريرياً. لقد تحول هذا النسق مع مرور الأيام الى صنم صنعته الثقافة السائدة بنفسها وعكفت على تبجيله، هذا بدوره قد أدى الى نتائج ًخطيرة، وقد أسهم إسهاماً فعّالاً في خلق وتصنيع شخصية الطاغية، صار النسق بمثابة تبرير أخلاقي لأي سلوك أناني متجبّر، لا يرى أي اعتبار للآخر، وسيلته مع الخصم المختلف واحدة لابديل لها، السحق والإلغاء.

واحة الفكر

قدّمهما هشام عقيل

محاضرتان في علم العمران
من تنظيم مختبر الفلسفة والفكر النقدي

قدّم (مختبر الفلسفة والفكر النقدي) بالتعاون مع (المنبر التقدمي) محاضرتين تحت عنوان (محاضرات في علم العمران) يوميّ ٦ فبراير و٢٠ فبراير ٢٠٢٣، ألقاهما هشام عقيل. المحاضرتان هما تقديميتان للمفاهيم الجديدة التي طرحها المحاضر مؤخراً، وغرض هذه المحاضرات هو التعريف بتلك المفاهيم على نحو تبسيطي وتقديمي.

في المحاضرة الأولى، المعنّونة بـ (ما هو العمران؟)، قدّم عقيل موجز تاريخ علم العمران، الذي يبدأ، حسب رأيه، بابن خلدون، ومن ثم يحقّقاه ماركس وإنغلز، ويختتم مع النظرية الكولونيالية. حسب المحاضر فإن ابن خلدون قدّم نواة النظرية العمرانية، حيث يكون مفهومه فورياً، يجمع فورياً بين مفهوم الاقتران ومفهوم العمران. كما أن مفهوم العمران عند ابن خلدون يتسم بكونه فيزيقياً. أما عند ماركس وإنغلز فإنهما، حسب عقيل، يقدّمان مفهوماً علائقياً للعمران، يتسم بالخارجية بين مفهوم العمران والاقتران.

أما مع النظرية الكولونيالية، التي يدشنها كتاب (رأس المال الكولونيالي)، فإن مفهوم العمران يصل إلى لحظته الأخيرة، حيث نصل إلى علاقة تحديدية بين الاقتران والعمران، إذ: «كل اقتران هو عمران، وكل عمران هو اقتران». هذه اللحظة الأخيرة، تشكّل، حسب المحاضر، خاتم القطائع في العلم العمراني، وتؤدي إلى القطيعة المعرفية الكونية. كما أنه أكد، عبر هذه التعريفات، أن مصطلحات مثل الخلدونية والماركسية لا يمكن لها أن تبقى، ولا يمكن لها أن تعد علمية، إذ إنها لا تحدد موضوع العلم بوضوح، وبالتالي إذا اعتبرنا الماركسية علماً جاهزاً، أي قد اكتملت قطيعته المعرفية، فإن ذلك وهم، وينبغي تحديد ملامح هذا المذهب كعلم عمراني.

في المحاضرة، قدّم عقيل تعريفاً لمفهوم العمران وهو بنية المقدرة الإنتاجية. ولهذا التعريف أربعة معان:(1) العمران بوصفه القدرة على الاقتران. (2) بوصفه نمط الاقتران. (3) بوصفه شرطاً للاقتران. (4) بوصفه شكل الاقتران. لكل تعريف قدّم المحاضر وصفاً عاماً، ببعض الأمثلة التاريخية، مثل الإسكندر الأكبر، والحرب البونيقية، والإمبراطورية الرومانية.

هشام عقيل

في المحاضرة الثانية، المعنّونة بـ (ما التآلفية؟)، استكمل عقيل ما طرحه في المحاضرة السابقة. مركزاً بالتحديد على أربعة أسئلة لم تجب عليها المادية التاريخية القديمة بشأن الاشتراكية، في حين علم العمران وحده يمكنه الإجابة عنها: (1) ما هو موضوع هذا النمط؟ (2) ما هي نزعته العامة؟ (3) ما هي عناصره؟ (4) ما هو شكل اقترانه؟ وبيّن عقيل أنه لما كان لكل اقتران شكل، فإن شكل نمط الإنتاج الشيوعي لا بد أن يكون تآلفياً.

وفي تعريفه للتآلفية، قال عقيل إنه لا ينبغي علينا الخلط بين المفهوم العاطفي، والأخلاقي، للتآلفية وبين مفهومها العلمي، الذي يتضمن الالتحام، والاتحاد، في سياق امتلاك المؤتلَف للوسائل الإنتاجية. هكذا، يحدد أن عناصر هذا النمط تكمن في المؤتلف نفسه والوسائل الإنتاجية، وعرّف المؤتلف كالاجتماع البشري الذي يتسم بالعلاقات التآلفية، وهي علاقات وحدة محايثة، وقوة، وانضباط. كما أن العلاقات التآلفية تخلو من كل علاقات تخالفية، تلك العلاقات التي عرّفها بأنها تتضمن التعمير لصالح وحدة عمرانية محددة من دون الأخرى، والتي تمهد لكل الأشكال الطبقية.

من هنا بيّن عقيل أن مفهوم الشعب دائماً كان نتاج التفارق بين السادة والعموم، وبالتالي دائماً اختزن العلاقات التخالفية. ولهذا السبب تحديداً، كما ذهب عقيل، ينبغي تحويل مفهوم الشعب لمؤتلف ليتحقق الشرط الأساسي للاشتراكية التآلفية. حالما نكون أمام المؤتلَف بدلاً من الشعب، سنجد أن موضوع الإنتاج التآلفي هو الألفة، وبتعبير المحاضر: «هذا المقسوم الاجتماعي غرضه تحقيق الارتقاء الاجتماعي، والفسيولوجي، والبايولوجي للإنسان»، ويأتي ذلك بخلاف موضوع المجتمع الرأسمالي، وهو الربح. هذا الفهم الجديد الذي تقدّمه التآلفية لمفهوم الاشتراكية، يؤدي إلى فهم جديد للنزعة العامة لهذا المجتمع المؤمل. لما كان لكل نمط إنتاجي في التاريخ نزعة، فإن نزعة المجتمع التآلفي هي تضخم الألفة في مقابل تطوّر الإنسان نفسه، مما يمكنه أن يؤدي إلى الانحطاط والخراب، وصعود عمراني آخر، كما هو الحال مع سائر المجتمعات البشرية. أخيراً، أكد عقيل أن الاشتراكية من دون التآلفية غير ممكنة ورجعية، وفي أفضل الأحوال طوباوية، وبالتالي حسب رأيه: «لا اشتراكية إلا التآلفية».

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

التقدمي

التقدمي العدد 184 ـ مارس 2023 السنة 21 SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

في ذكرى رحيله: بعض من ذكريات مجيد مرهون

ماذا قالت له والدته، وماذا قال هو لهندرسون؟

في ذكرى رحيل الفنان الموسيقي والمناضل مجيد مرهون، نعيد نشر هذه المقاطع من كتابه: "أشهدُ أني عشت"، الصادر عن المنبر التقدمي بعد رحيل مجيد، والذي حكى فيه جوانب من ذكرياته، قبل سنوات السجن الطويلة وخلالها.

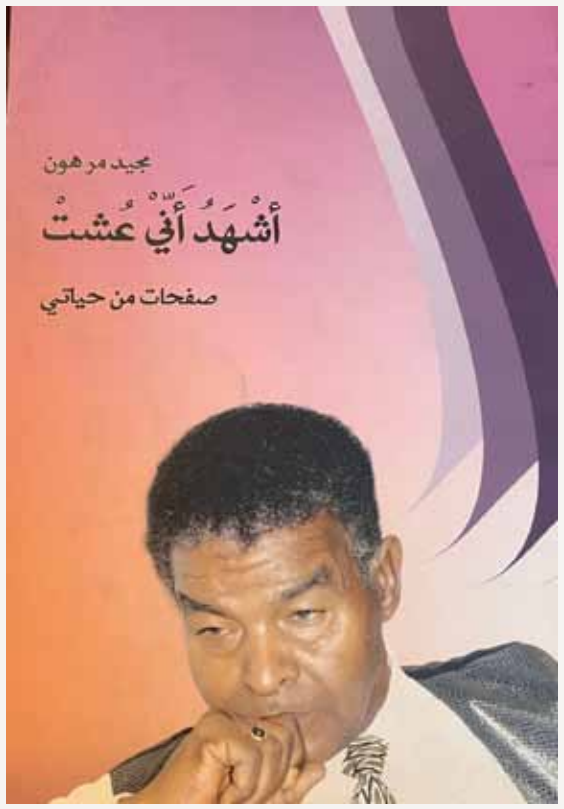

في إحدى تلك الليالي، وفي خضم الإعتقالات الكثيرة، أحضر لي أحد الرفاق "كرتوناً" كبيراً مليئاً بنسخ من نشرة جبهة التحرير الوطني (الجماهير)، لتوزيعها على خلايا تنظيمية فقدت قياداتها، والمطلوب مني ربط تلك الخلايا وإعادة سير عملها التنظيمي السري، وبسرعة خرج من البيت دون أن تراه والدتي، وبعد ذلك أغلقتُ باب حجرتي، وبدأت أرتب النسخ لكل فرد من أفراد الخلايا وفق المنطقة التي يعيش فيها، ويبدو أن أمي لاحظت شيئاً أثار شكوكها، فجاءت تطرق الباب، وعندما فتحته قليلاً، سألتني عن الموضوع، وسقطت عينها على المنشورات، بالرغم من محاولتي إخفائها، فأخبرتها بعد أن أدخلتها حجرتي بأني عضو في تنظيم مناضل، فارتعبت وطلبت مني كأم أن أتخلى عن العمل السياسي خوفاً عليّ من الاعتقال، فبادرتها حازماً بالجواب: "إن عملي شريف ولمصلحة الوطن، وعليها أن تختار بين أمرين، إما أن أحنث بوعدي وأتخلى عن توجهاتي وأنتحر، أو أن تبارك توجهاتي حتى لو أدى ذلك إلى موتي"، وكانت لحظة إرباك بالنسبة لكلينا وساد صمت ثقيل، وبعدها أخذتني بالأحضان، وصارت تقبلني والدموع في عينيها قائلة "ليبارك الله لك في كل خطوة تخطوها".

ومنذ ذلك الحين زاد حماسي، وقمت بقيادة خلايا تنظيمية عديدة بعد الإعتقالات في مارس وإبريل عام 1965، كما ووفق توصية من رفاقي الأعلى رتبة أصبحت أهتم بتثقيف أمي لكي تصبح قلعتي الحصينة، فكنت أقرا لها منشوراتنا وأناقشها في مواضيعها، كما كنت أقرأ القصص الهادفة لها، وصارت تهتم بشكل خاص بالأخبار سواء المذاعة منها أو المنقولة، كما وصرت أعلمها الحروف الأبجدية فكنت أرى تلك القلعة تتكون أمام ناظري، ولذلك فإن علاقتي بأمي كانت تزداد وثوقاً.

"ليبارك الله لك في كل خطوة تخطوها" – أم تقول هذا الكلام إلى ابنها تجعله يصبح صامداً كالفولاذ، وتدفعه دفعا إلى الأمام وبكل قوة، كما وتجعله يتأكد من أن وراءه قلعة حصينة لا تدّمرها الأهوال، وهذا ما جعلني لصيقا بأمي إلى حدّ الجنون في التقرب إليها طمعاً في نيل رضاها وبراً بها تعويضا عما كابدته طوال حياتها لأجلي.

****

وبعد وفاة أمي بتاريخ 13 يونيو 1981 ظنّ هندرسون ورجاله بأنني في وضع لا أحسد عليه، وأنني أصبحت ضعيفاً أمامهم ويمكنهم كسر شوكتي، فبدأوا أعمالهم الاستفزازية من جديد وبمختلف الطرق، ولم يدركوا بأن الأسد الجريح يكون أشدّ خطورة من حاله قبل ذلك، فأحضروني لمكتب التحقيقات، ومن جديد بدأوا يطلبون مني أن أوقع على ورقة مضمونها أني لا أحتاج إلى تضامن الأحزاب اليسارية والشيوعية والاشتراكية، وهي الأحزاب التي ترسل لهم رسائل الاحتجاجات على استمرار سجني، والمطالبة بالإفراج عني، وكان جوابي لهم أنّ احتجاج ومطالبات الأحزاب والمنظمات في العالم هي مشكلتكم أنتم وليست مشكلتي، وعليكم أن تتحملوها بأنفسكم، فأنا بعيد عن كل ما يحدث في العالم، كوني في السجن، فإذا حدث أمر ما في السجن ولي يد فيه، فإني على استعداد لتحمل مسؤولية ذلك، ولكن إذا لم تكن لي فيه يد فكيف أتحمل مسئوليته ؟!، هذا في السجن، فما بالك في ما يحدث خارج السجن، فكيف أتحمل مسئوليته؟

ولكن الضابط كرر طلبه وبغباء عدة مرات كالببغاء، وأنا أكرر جوابي بوضوح حاسم، حتى سأمت هذه اللعبة السمجة، وفي الأخير ضربت الطاولة بكلتي قبضتيّ صارخاً فيهم بأني لست مستعداً لكتابة أي شيء من هذا القبيل، وطالبتهم بحزم بأن يعيدوني إلى السجن، وكان ذلك الضابط هو (محمد مبين)، فبهت وأتصل برئيسه هندرسون (مدير المخابرات)، فطلبني هذا الأخير إلى مكتبه محاولاً إخافتي ومتبجحاً بقوله إن كل الناس في البحرين ترتعد فرائصها عندما تسمع اسمه، فأجبته بتحدٍ بأني لا أرى ذلك، فهو بشر مثلي، فإذا كان هو ضابطاً يلبس اللباس المدني، فإني ألبس اللباس الرسمي للسجن، ولا يختلف عندي عن غيره من الناس، فأسقط في يده وتسمر في مكانه صامتاً عدة ثوان كانت ثقيلة عليه، ثم صرخ كالمجنون طالبا رجاله: "أعيدوه إلى السجن .. أعيدوه إلى السجن"، وهذا ما جعلني أضحك، ساخراً، في وجهه، وبالطبع أعادوني إلى السجن.

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com